روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الوجه الخفي

٩١

د. نبيل فاروق



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الشيطانة ..

صعد قرص الشمس فى بطء، من خلف جبال (كيواوا) المكسيكية، وألقى ظلالًا طويلة أمامه، امتدت عبر تلك المزرعة الشاسعة، المترامية الأطراف، المتاخمة للنهر، وعندما سقط أوّل شعاع للشمس على المزرعة، كان (أدهم صبرى) يغادر اسطبلات الخيل، على صهوة جواد عربى أبيض، وهو يتطلع إلى قرص الشمس من بعيد، ويجذب عنان الجواد فى رفق، فأطلق الجواد صهيلًا خافتًا، وضرب الأرض بقوائمه، فى تتابع أنيق، قبل أن يقترب منه الخادم (بيزو)، ويسأل (أدهم) فى احترام:

- هل تتناول إفطارك أوّلًا يا سنيور (أميجو)؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا، وقال:

- لا يا (بيزو) .. سأتناوله عند عودتى.

ولكز بطن جواده بكعبيه، فأطلق الجواد صهيلًا قويًا، وضرب الهواء بقائمتيه الأماميتين، ثم انطلق يعدو نحو النهر كعادته ..

وعند النهر ، ترجّل (أدهم) عن جواده ، وجلس على الحشائش الخضراء يراقب شروق الشمس من خلف الجبال ، ويطلق لأفكاره وذكرياته العنان ..

تذكّر كيف أجبرته الظروف على الزواج من (سونيا) ، عدوته اللدود ، التى أنجب منها طفله الوحيد ، وكيف فرّت بالطفل ، واختفت دون أن يعثر لها على أدنى أثر(*) ..

واعتصر الحزن قلبه ، وهو يستعيد هذه الذكرى ..

لقد بحث عنها فى كل مكان ..

قلب الدنيا كلها ، بحثًا عن ابنه ..

عن أى أثر يقوده إليه ..

ولكنه فشل ..

كان أول وأسوأ فشل فى حياته ..

وأكثر شىء آلمه فى عمره كله ..

وفى مرارة ، نهض يلقى نظرة أخيرة على قرص الشمس ، ثم وثب على صهوة جواده مرة أخرى ، وانطلق به عائدًا إلى المزرعة ، وهو يفكّر فى هذا الشىء ، الذى ينغص حياته كلها ..

تُرى أين ذهبت (سونيا) بولده ؟ ..

(*) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

أين اختفت ؟ ..

لماذا لم يعثر لها على أدنى أثر ؟ ..

كيف نجحت فى التخفى على هذا النحو ؟ ..

حاول أن يبحث عن وسيلة جديدة لتقصى أثر (سونيا) ، والعثور على ابنه ، حتى اقترب الجواد من المزرعة ، ولاحظ (أدهم) تلك السيارة الصغيرة ، المتوقفة أمام مبنى المزرعة ، فعقد حاجبيه فى قلق ، وهو يلقى نظرة على أرقامها المكسيكية ، ثم دار حول المبنى ، وهبط عن صهوة جواده ، ثم استلّ مسدسه ، وتسلّل من الباب الخلفى فى حذر ..

وصحّ توقّعه ..

كان هناك رجل متين البنيان ، عريض المنكبين ، يرتدى حلة سوداء ، ورباط عنق رفيع ، ويقف عاقدًا ساعديه أمام صدره ، متطلعًا إلى الباب الأمامى ، فى حين كان هناك رجل آخر يقف بالقرب من النافذة ، ومسدسه يكاد يعلن عن نفسه ، فى ذلك التضخّم ، تحت إبطه الأيسر ..

أما فى حجرة الضيوف ، فقد كان هناك رجل ثالث ، لم يتبيّن (أدهم) ملامحه جيدًا ، من الزاوية التى ينظر منها ، ولكنه أدرك على الفور أن الرجال الثلاثة ينتظرون عودته ، فأعاد مسدسه إلى حزامه ، وهو يقول لنفسه :

ـ لا حاجة بك إلى السلاح يا (أدهم) .. إنهم ثلاثة فحسب ، وأنت تحتاج إلى المران باستمرار .

ثم تقدم خطوة ، وقال بصوت مرتفع ، تغلب عليه رنة ساخرة :

ـ هل تنتظروننى أيها السادة ؟

استدار إليه أقرب الرجال فى سرعة ، ولكن (أدهم) عاجله بلكمة قوية فى معدته ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره ودفعه بقدمه إلى الحائط ، ليرتطم به رأسه فى قوة ، فى نفس الوقت الذى جذب فيه الثانى مسدسه ، فانزلق (أدهم) على الأرضية الملساء فى خفة ومرونة مدهشتين ، وركل المسدس من يد الرجل ، وهو يقول :

ـ حذار يا رجل .. ليس من الظريف أن تعبث بالأسلحة النارية .

ثم وثب إلى أعلى ، والتقط المسدس فى الهواء ، فى نفس اللحظة التى ركل فيها وجه الرجل بقدمه الأخرى ، وألقاه أرضا ، ثم هبط على قدميه ، مصوبا مسدسه إلى الرجل الثالث ، قائلا :

ـ هل نعلن انتهاء اللعبة ، أم ... ؟

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على وجه الرجل ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ رائع يا (أدهم) .. أنت على عهدى بك دائمًا .

ولم يصدق (أدهم) عينيه ..

كانت مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة مدهشة ..

★ ★ ★

تبادل أعضاء مجلس إدارة شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) ، نظرات قلقة متوترة ، وأطلت من عيونهم عشرات التساؤلات ، التى لم تجرؤ ألسنتهم على الإفصاح عنها ، حتى همس أحدهم فى أذن جاره فى حذر :

ـ ألم تعرف بعد من المالك الجديد للشركة ؟

هز جاره رأسه نفيا ، وألقى نظرة جانبية على الآخرين ، ثم أجاب همسًا :

ـ إنهم يخفون الأمر تمامًا ، كما لو كان سرًا حربيًا ، ولكن هناك شائعات تقول : إن المالك الجديد شاب وسيم ، لم يتجاوز الأربعين من عمره بعد .

عقد الأول حاجبيه ، وهو يقول :

ـ شاب وسيم ، لم يتجاوز الأربعين ؟! .. عجبًا ! .. المفروض أن شابًا كهذا يكون أشهر من نار على علم ، فليس من السهل أن تجد شابًا فى الأربعين من عمره ،

يمتلك ثلاثين مليون دولار دفعة واحدة ، دون أن يصبح نجمًا من نجوم المجتمع .

هزّ الثانى كتفيه ، وقال :

ـ إنها مجرّد شائعات ، وعلى أية حال ، لن يلبث كل شىء أن يتضح ، عندما يبدأ الاجتماع .

سأله الأوّل فى لهفة :

ـ أتظنه مجرّد اجتماع تقليدى ، لمالك جديد ، يرغب فى تعرّف مجلس إدارته ، أم أنه يرغب فى إجراء بعض التغيرات ؟

همّ الثانى بإجابة التساؤل ، لولا أن ارتفع صوت محاسب الشركة ، وهو يقول :

ـ المالك الجديد ، مستر (تونى بورسالينو) .

التفتت العيون كلها إلى ذلك الشاب الوسيم ، ذى الحلة الأنيقة ، الذى دخل إلى حجرة الاجتماعات ، وألقى نظرة باردة طويلة على الجميع ، قبل أن يتجه فى هدوء إلى مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات ، ويجلس فوقه فى صمت ، ثم يشعل سيجارة خاصة ، يحمل مبسمها الحروف الأولى من اسمه ، وينفث دخانها فى هدوء وزهو ..

وتعلقت الأنظار كلها بالشاب ، الذى اعتدل فى مجلسه ، وقال بصوت حازم صارم ، ينتهي برنين خاص :

ـ أنا أيها السادة (تونى بورسالينو) ، صاحب ورئيس شركتكم الجديد .

لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وهم يتطلعون إليه فى اهتمام ، وهو يتابع :

ـ من المؤكّد أن أحدكم لم يسمع اسمى من قبل ، فهى أوّل مرة أقرّر فيها استخدام ميراثى الضخم ، فى عمل تجارى خاص ، ولكن الواقع أن مجال تصنيع الإليكترونيات يبهرنى ويجذب انتباهى منذ صباى ، ولذلك لم يكن من الصعب أن أقرّر ابتياع هذه الشركة ، عندما قرّر صاحبها السابق التخلّى عنها .

وألقى نظرة أخرى طويلة عليهم ، وعلى وجوههم الشاحبة وشفاههم الجافة ، قبل أن يستطرد :

ـ أكاد أسمع الآن صوت الأفكار ، وهى تدور فى رءوسكم ، وأعرف أن السؤال الأوّل فيها هو : ما الذى سيفعله صاحب الشركة الجديد ، بمجلس الإدارة القديم ؟

وتراجع فى مقعده ، ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ والجواب هو لاشىء .. لن أفعل أى شىء فى الوقت الحالى ، وسيبقى كل شىء على ما هو عليه .

تنفس الجميع الصعداء فى صوت مسموع ، ولكنه استطرد فى حزم :

ـ ولكن .

هوت قلوبهم مرة أخرى بين أقدامهم ، مع كلمة (لكن) هذه ، ولاحظ هو ذلك الشحوب على وجوههم ، فابتسم قائلاً :

ـ هذا لا يعنى أن الأمور ستظل هكذا إلى الأبد .. إننى فقط سأترك كل شيء على ما هو عليه ، حتى أعرفُ من منكم يستحق البقاء ، ومن يستحق الطرد .

وضرب سطح المائدة براحته ، مردفًا فى صرامة :

ـ وأنا أمنحكم ثلاثة أشهر فحسب ؛ لرفع نسبة المبيعات ، وتحسين مستوى الأداء بالشركة ، وإلا ...

عاد يتراجع بمقعده فى هدوء ، متابعًا :

ـ وإلا فصلت مجلس الإدارة كله .

جفت حلوقهم بشدة ، فى حين لوّح هو بكفه ، وقال فى حزم :

ـ هذا يكفى .. انتهى الاجتماع .

نهضوا يجرّون أقدامهم جرًا ، والقلق يعصف بنفوسهم أكثر وأكثر ، وتجاهلهم هو تمامًا ، حتى خلت قاعة الاجتماعات ، ثم نهض فى هدوء ، واتجه إلى حجرة مكتبه ، الملحقة بالقاعة ، ولم يكد يدخلها حتى تبدلت هيئته ، ووقف فى احترام وصمت ، وهو يتطلع إلى تلك

الفاتنة ، التى تجلس خلف مكتب رئيس مجلس الإدارة ، وهى تداعب هرة فارسية بأناملها فى بطء وهدوء ..

وبعينين ساحرتين ، تطلّعت إليه تلك الفاتنة ، وقالت وهى تشير إلى شاشة جهاز مراقبة أمامها :

ـ لقد رأيت كل شيء .. أهنئك .. إنك تجيد أداء دورك .

ابتسم الشاب ، وقال :

ـ هل أحسنت التصرّف يا سيدتى ؟

مطت شفتيها الجميلتين ، وقالت :

ـ هذه المرة نعم .

قال وهو يجلس على المقعد المقابل لمكتبها :

ـ الجميع يتصوّرون الآن أننى صاحب الشركة ، ولا أحد منهم يعلم أنك المالكة الحقيقية يا سيدتى .

داعبت الهرة الفارسية بأظفارها الطويلة الملوّنة ، وهى تقول فى برود :

ـ عظيم .

تطلع إليها لحظة بافتتان ، وقال :

ـ ولكن لماذا يا سيدتى ؟ .. لماذا تخفين هذا ؟

أجابته فى هدوء :

ـ هذا ضرورى لتحقيق طموحاتى .

قال فى خبث :



وأشعلت سيجارتها فى بطء ، مستطردة :

ـ طموحاتى تتجاوز هذا بكثير ..

ـ بالطبع يا سيدتى .. أراهن أنك تخططين للسيطرة على صناعة الإليكترونيات ، فى (أمريكا) كلها .

ألقت عليه نظرة استخفاف ، وهى تقول :

ـ يا لك من ساذج !

وأشعلت سيجارتها فى بطء ، مستطردة :

ـ طموحاتى تتجاوز هذا بكثير .

اتسعت عيناه فى ذهول :

ـ تتجاوز هذا ؟! ..

ـ تتجاوز السيطرة على صناعة الإليكترونيات ، فى قارة بأكملها ..

فى أقوى دولة فى العالم ؟! ..

كم يبلغ طموحها إذن ؟ ..

ما الذى تسعى إليه ؟

ولم يكن يتصوّر أبدًا أن طموحات تلك الفاتنة تتجاوز بالفعل مجرّد السيطرة على صناعة واحدة ، مهما بلغت أهميتها ..

إنها تطمح إلى نوع آخر من السيطرة ..

سيطرة تناسب شخصية أفعى مثلها ..

أفعى تدعى (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

* * *

تطلع مدير (الموساد) في هدوء إلى (إيزاك باراهودا)، الملحق العسكري، في قنصلية (إسرائيل) بالولايات المتحدة الأمريكية، وأشار إلى المقعد المقابل لمكتبه، وهو يقول:

- مرحبًا بك في (تل أبيب) يا (إيزاك) .. اجلس، فأمامنا حديث طويل.

جلس (إيزاك) في قلق واضح، وهو يقول:

- أشكرك يا سيدي، ولكن هل لي في معرفة السبب، الذي تم استدعائي من أجله على وجه السرعة، من (نيويورك) إلى (تل أبيب)؟

تراجع المدير في مكتبه، وقال:

- لقد التقيت في مكتبك بضابطتنا السابقة (سونيا جراهام)، منذ فترة قصيرة، أليس كذلك؟

أجابه (إيزاك) في قلق أكثر:

- نعم يا سيدي، ولقد أرسلت تقريرًا شاملًا بكل ما حدث.

قال المدير في برود:

- أريد أن أسمع منك ما حدث مرة أخرى.

ازدرد (إيزاك) لعابه في صعوبة، وأنبأه ذكاؤه بوجود أمر بالغ الخطورة، يتعلق بهذه الزيارة، وقال بكلمات سريعة موجزة:

- لقد زارتني (سونيا) في مكتبي، وقالت إنها تحمل لي سرًا يتعلق بزوجها، وقبل أن تخبرني ما لديها، ظهر ذلك الزوج فجأة، ومع الأحداث رأيت وجهه بنفسي، وعرفت من هو ..

سأله المدير:

- ومن هو بالضبط؟

حاول (إيزاك) أن يلتقط لعابه مرة أخرى، قبل أن يجيب:

- إنه (موشي) .. (موشي حاييم نزرانيلي) .. رجلنا السابق(*).

سأله المدير:

- وهل تأكدت من أنه (موشي)؟

أجابه (إيزاك) في توتر:

- لقد رأيت وجهه بنفسي، لن أخطئ تعرّف (موشي)، فقد عملت إلى جواره عامًا كاملًا .. إنه هو، على الرغم من ثقتكم بأنه لقي مصرعه في (ألمانيا الشرقية)(**).

تجاهل المدير هذا الجزء، وقال:

(*) راجع قصة (الجليد المشتعل) .. المغامرة رقم (٦٥) وقصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧).

(**) راجع قصة (الجحيم المزدوج) .. المغامرة رقم (٦٧).

- وما الذى قالته (سونيا) ، عند ظهوره ؟

هزّ رأسه ، مجيبًا :

- لم تقل شيئًا .. لقد أخذها وانصرف .

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول فى صرامة :

- بهذه البساطة ؟! .. أخذها وانصرف ؟! .. أين حدث هذا ؟ .. فى قنصليتنا بالولايات المتحدة الأمريكية ، أم فى ملهى ليلى فى (قبرص) ؟

قال (إيزاك) فى عصبية ، وهو يدرك ما يقصده المدير :

- بل فى قنصليتنا يا سيدى ، ولقد أدى رجال الأمن دورهم على خير ما يرام ، ولكنهم كانوا يواجهون شيطانًا مريدًا ، لا قبل لهم به .

قال المدير فى برود شديد :

- حقًا ؟!

ارتبك (إيزاك) أكثر ، وتضاعفت عصبيته ، وهو يقول :

- ماذا هناك بالضبط يا سيدى ؟

أجابه المدير :

- ستعرف فى الوقت المناسب .

ثم سأله قبل أن يمنحه الوقت للتفكير :

- وماذا كان تعليق القنصل ، عندما أخبرته بهذا ؟

هزّ (إيزاك) رأسه فى حدة ، وقال :

- لم يصدّق هذا أبدًا ، وأكد لى أنه تسلم بنفسه جثة (موشى) ، عندما لقى مصرعه فى (برلين الشرقية)(*) .

قال المدير :

- وعلى الرغم من هذا فقد ظهر رجل مدهش بعدها ، فى كل العمليات التى يقوم بها المصريون .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه (إيزاك) فى حيرة ، قبل أن يقول :

- لست أدرى ما يعنيه هذا بالضبط ، وما علاقته بالامر ؟ .. كل ما يمكننى قوله هو أن من رأيته ، ومن فعل كل ما فعل فى القنصلية ، كان (موشى دزرانيلى) .. لا أحد سواه يمكنه هذا .

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

- بل هناك آخر ، يمكنه أن يفعل ما هو أفضل من هذا .

التفت (إيزاك) فى حركة حادة ، إلى ذلك الشخص ، الذى يقف فى ركن مظلم بالحجرة ، على نحو يصعب معه كشف شخصيته ، فى تلك الإضاءة الخافتة ، التى يصرّ عليها المدير ، وانعقد حاجباه وهو يحاول تمييز ملامح

(*) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

ذلك الشخص ، الذى تحرّك فى بطء إلى دائرة الضوء ، وهو يواصل :

ـ آخر يدعى (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

ومع آخر حروف الكلمة ، انتفض جسد (إيزاك) من فرط المفاجأة ..

المفاجأة المذهلة ..

* * *



٢ ـ المهمـة :

عبرت سيارة فاخرة بوّابة ذلك القصر المنيف ، فى واحدة من أرقى ضواحى (نيويورك) ، وانطلقت لربع ساعة عبر الحديقة الشاسعة ، التى تمتد لعشرين فدانًا كاملة ، قبل أن تتوقّف أمام القصر نفسه، ويهبط سائقها بزيه المميّز الأحمر اللون ، وينحنى ليفتح بابها الخلفى ، وهو يقول فى احترام شديد :

ـ وصلنا يا مستر (مايكل) .

تردّد الرجل الجالس داخل السيارة لحظات ، وهو يدير عينيه فى المكان البالغ الفخامة ، ثم لم يلبث أن دفع نفسه دفعًا إلى خارجها ، ووقف يعدّل فى حلته ، التى بدت رثّة متسخة ، لا تتناسب أبدًا مع المكان ، أو تتفق مع أناقته البالغة ..

وفى هدوء ، تقدّم خادم زنجى ، فى زى أنيق ، وانحنى أمام (مايكل) ، قائلًا :

ـ مستر (مايكل) .. هل تتفضّل وتتبعنى إلى حيث تنتظرك السيّدة (جوان آرثر) ؟

لم يكن (مايكل) قد سمع هذا الاسم من قبل ، فالتقى حاجباه في توتر ، وقال :

ـ بالتأكيد .

عبر مع الخادم ممرًا فاخرًا ، تغطت أرضيته بالرخام الأسود ، وارتفعت حولها أعمدة رخامية وردية ، يعلو كلًا منها تمثال من المرمر الأبيض ..

وفى انبهار تام ، راح (مايكل) يدير عينيه فى التحف واللوحات الفاخرة ، التى تحيط به من كل جانب ، حتى تجاوز الممر مع الخادم ، ووجد نفسه أمام حوض سباحة كبير ، يقف على حراسته عدد من الرجال المسلحين ، على الرغم من أن رواده لا يتجاوزون امرأة واحدة ، ترقد فى استرخاء فوق أريكة شاطئ أنيقة ..

ولم تكد عينا (مايكل) تقعان على المرأة ، حتى جحظتا فى انبهار تام ، وأدرك عقله أنه يتطلع الآن إلى أعظم تحفة ، فى القصر كله ..

كانت شديدة الحسن والجمال ، هيفاء القد ، تخفى عينيها بمنظار شمس داكن ، فى حين تترك شعرها الأشقر الجميل متناثرا حول رأسها ، فوق الأريكة الأنيقة ، وهى ترتدى ثوب استحمامها الصغير ..

وسقطت الفك السفلى لـ (مايكل) ، وهو يحدق فى تلك الفاتنة ، قبل أن يقول الخادم فى احترام :

ـ مستر (مايكل) يا سيدتى .

اعتدل (مايكل) فى سرعة ، وحاول أن يعدل من هندامه ، عندما التفتت إليه تلك الفاتنة ، ونهضت فى بطء ، وهى تحيط وسطها بمنشفة كبيرة ، ثم تتجه نحوه ، قائلة :

ـ أنت إذن (أكشن مايكل) ، كما يطلقون عليك فى (نيويورك) .

جف لعابه ، وهو يقول :

ـ فى خدمتك يا سيدتى .

أشعلت سيجارتها فى هدوء ، وهى تتطلع إليه ، من خلف منظارها الشمسى ، قبل أن تقول :

ـ لماذا اخترت هذا اللقب المبتذل (أكشن مايكل) ؟

تمتم فى خفوت :

ـ كان هذا منذ زمن طويل يا سيدتى .

نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وقالت :

ـ فليكن .. هذا شأنك .. اذهب وانتظرنى فى مكتبى يا (مايكل) ، وسأبدل ثيابى وألتقى بك هناك .

قالتها وأشارت بيدها إلى الخادم ، فقال فى احترام :
ـ تفضل يا مستر (مايكل) .
تبعه (مايكل) وهو يتعثّر فى خطواته ، والانبهار بتلك المرأة لم يفارقه بعد ، وجلس فى حجرة المكتب مشدوهًا ، يتطلّع إلى كل ما حوله ، حتى عادت المرأة إليه ، وجلست خلف مكتبها الضخم ، وهى ترتدى ثوبًا رائعًا ، زادها فتنة وجمالًا ، وأشعلت سيجارة أخرى ، وراحت تنفث دخانها فى الهواء لحظات ، قبل أن تسأل (مايكل) فجأة :
ـ كم تربح الآن يا (مايكل) ؟
كان السؤال مباغتًا بحق ، فحدّق (مايكل) فى وجهها لحظة ، ثم قال فى حدة :
ـ ما الذى يعنيه هذا السؤال ؟
ضاعت حدته أمام ابتسامتها الساحرة ، وهى تقول :
ـ هل يضايقك كثيرًا أن تجيب عن السؤال ؟
تطلّع إليها لحظة فى توتر ، ثم غمغم :
ـ كلّا .. لا يضايقنى .
ثم أضاف ملوّحًا بكفه :
ـ فلنقل إننى أربح خمسين ألف دولار .
قالت فى لهجة شبه ساخرة :
ـ شهريًا ؟

هتف :
ـ يا للشيطان ! .. بل سنويًا بالطبع .. الأعمال لم تعد كما كانت عليه ، والشرطة تتعامل بعنف شديد ، ولى سوابقى ، و ...
قاطعته فى هدوء :
ـ لماذا تصرّ على العمل هنا إذن ؟
ردّد فى دهشة :
ـ هنا ؟! .. ماذا تعنين ؟
هزّت كتفيها ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تقول :
ـ أعنى (أمريكا) بالطبع .
قال فى عصبية :
ـ وأين أعمل إذن ؟
لوّحت بسبّابتها ، قائلة :
ـ خارج الحدود .
عقد حاجبيه فى حيرة وتساؤل ، فمالت نحوه ، قائلة :
ـ هل تعلم يا (مايكل) .. عندما وصلت إلى (أمريكا) ، كنت أحمل معى ثلاثين مليونًا من الدولارات ، وطفلًا صغيرًا .. ابنى .. وبعد شهر واحد هنا ، وبأساليبى الخاصة ، أصبحت أمتلك مائتى مليون دولار ؟ .

شهق فى انبهار ، فابتسمت وهى تتابع :

ـ ولكن هذا لم يشبع طموحى بعد .

ردد مشدوهًا :

ـ وما طموحك يا سيدتى

ضمت قبضتها فى قوة ، ولوحت بها فى وجهه ، قائلة :

ـ القوة .

نطقتها فى شراسة عجيبة ، ارتجفت لها الدماء فى عروقه ، وهو يردد خلفها :

ـ القوة ؟!

عادت إلى هدوئها ، وهى تقول :

ـ نعم يا عزيزى (مايكل) .. القوة .. إننى أملك المال ، ولكننى أحتاج إلى الرجال .. رجال أقوياء ، لهم خبرتهم فى القتال ، ويحتاجون إلى عقل مدبر ، وخطة عمل متقنة ، و ...

مالت نحوه ، وغمزت بعينها ، مضيفة :

ـ ومال وفير .

اختلج قلبه ، وهو يتمتم :

ـ مال وفير ؟!

تراجعت فى مقعدها ، وقالت :

ـ نعم .. خمسين ألف دولار شهريًا .

شهق فى انبهار ، فاستدركت فى سرعة :

ـ كبداية .

كاد يجثو على ركبتيه أمامها ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيدتى .

التقطت رزمة أوراق مالية من درج مكتبها ، وألقتها إليه ، قائلة :

ـ خذ .. هذه مائة ألف دولار ، كمكافأة بدء العمل .. وأريد دستة من الرجال ، الذين يجيدون إطلاق النار والقتال اليدوى .. لتخترهم من رجال الجيش السابقين ، والأفضل أن يكون لهم سجل حافل ، فى حرب (فيتنام) ، وحاول أن تجمع هذا الجيش الصغير بأقصى سرعة ممكنة .

سألها وهو يلتقط رزمة الأوراق المالية فى لهفة :

ـ هل لديك مهمة عاجلة ؟

قالت (جوان آرثر) ، التى لم تكن فى الحقيقة سوى (سونيا جراهام) :

ـ نعم .. لدى مهمة عاجلة للغاية .

ونفثت دخان سيجارتها فى حدة ومقت ، قبل أن تستطرد :

- مهمة فى (كيواوا) بـ (المكسيك) .. مهمة خاصة .

وفى ذهنها كانت هناك صورة واحدة ، فى إطار من البغض والكراهية ..

صورة (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

كانت دهشة (أدهم) عظيمة بحق ، وهو يحدق فى وجه زائره ، الذى ارتسمت عليه ابتسامة ارتياح كبيرة ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنك حى .. لم يخامرنى أدنى شك فى هذا .

ألقى (أدهم) المسدس من يده ، وقال فى حرارة :

- سيدى المدير ؟! .. إنها مفاجأة حقيقية ، فلم أتوقع قط رؤيتك هنا ! .. كيف عرفت الـ ...

قاطعه مدير المخابرات المصرية :

- لسنا فريقًا من الهواة يا (ن - ١) .. لقد عرفنا أنك هنا فى (المكسيك) ، وبعدها لم يكن الباقى عسيرًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

- كنت أتوقع هذا يومًا .

نهض الرجلان اللذان صرعهما (أدهم) ، وهتف أحدهما فى حنق ، وهو يبصق الدماء من فمه :

- سأطالب بأجر إضافى مقابل هذا .

أما الثانى ، فقال محتدًا :

- هل يمكننى استعادة مسدسى ؟

أجابه (أدهم) :

- لقد ألقيته هناك ، ولكن معذرة أيها الزميلان ، فلم أعتد استقبال من يحملون الأسلحة النارية بالقبلات والعناق .

قال الثانى فى سخط ، وهو يستعيد مسدسه :

- لقد لاحظنا هذا .. إنك تفضل اللكمات والركلات .

ضحك (أدهم) ، قائلًا :

- إلى حد ما .

ثم التفت إلى مدير المخابرات ، يسأله :

- أهما زميلان جديدان ؟

هز المدير رأسه ، وقال :

- بل هما من أمن السفارة .. سفارتنا فى (المكسيك) .. أردت أن آتى وحدى ، ولكن السفير أصر على اصطحابهما لى .

ثم انعقد حاجباه بغتة ، وتبدلت لهجته ، وهو يقول :

- ألن ننتهى من هذا العبث الطفولى يا (أدهم) ؟

سأله (أدهم) :

ـ أى عبث تقصد يا سيدى ؟
أشار إليه المدير ، قائلاً فى حدة :
ـ عبثك هذا .. لماذا تختفى هنا ؟ .. ولماذا لم تعد مباشرة إلى عملك ؟
زفر (أدهم) ، قائلاً :
ـ هناك أسباب تمنعنى من هذا يا سيدى .
هتف (المدير) :
ـ ولكن وطنك فى حاجة إليك .
أجاب (أدهم) فى حرارة وإخلاص :
ـ وأنا رهن إشارة وطنى دائمًا يا سيدى ، حتى ولو لم أكن أحد رجال المخابرات العامة .
تنهد (المدير) وقال :
ـ حسن يا (أدهم) .. أنت وشأنك .
ثم كرر فى حزم :
ـ ولكن وطنك فى حاجة إليك .
تطلع (أدهم) إلى (المدير) لحظة فى تساؤل ، ثم قال فى لهجة بدت لحارسى الأمن بسيطة وعادية :
ـ ما رأيك فى مشاهدة مزرعتى يا سيدى المدير ؟
ابتسم المدير بفهم ، وهو يقول :
ـ أنا أتوق إلى هذا بالتأكيد .
ثم رفع عينيه إلى الحارسين ، وقال بلهجة آمرة :

ـ انتظرانا هنا ، وسنعود بعد قليل .
قال أحدهما معترضًا :
ـ سيدى .. الأوامر لدينا تحتم ..
قاطعه المدير فى صرامة :
ـ قلت : انتظرانا هنا .. هذا أمر .
أطاعه أحد الرجلين دون مناقشة ، فى حين أبدى الثانى تبرمه بهمهمة غير مفهومة ، إلا أن كليهما لم يتحرك من مكانه ، عندما غادر (أدهم) والمدير القصر إلى الخارج ..
ولم يتبادل (أدهم) ومدير المخابرات كلمة واحدة ، حتى بلغا أحد اسطبلات الخيل ، وهنا أشار (أدهم) إلى أريكة بسيطة ، وقال :
ـ هنا مكان آمن .
جلسا متجاورين ، وسأل أدهم المدير فى هدوء :
ـ والآن ماذا هناك؟
تطلع إليه المدير لحظة ، قبل أن يقول :
ـ لقد حصلت (إسرائيل) على كمبيوتر جديد .
سأله (أدهم):
ـ من أى نوع ؟
أجابه المدير :
ـ من نوع خاص للغاية ، ولا توجد منه سوى نسختين ، فى العالم كله ، إحداهما فى وزارة الدفاع الأمريكية ، والثانية تسلمتها (إسرائيل) أمس .

قال (أدهم) فى مزيج عجيب ، من الضيق والسخرية :

ـ أما زالت (أمريكا) تعتبر (إسرائيل) طفلها المدلل ، فى منطقة الشرق الأوسط ؟!

أجابه المدير :

ـ بالطبع .. هذا يخدم مصالحها .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ـ هذا الكمبيوتر الخاص ، المعروف باسم (سميولاتور) ، يمكنه أن يدفع (إسرائيل) عشر درجات ، فى سباق القوة بالمنطقة ، فهو عبارة عن جهاز تحليل معلومات ضخم ، يتلقى كل ما تحصل عليه الأجهزة المختلفة من معلومات وأسرار وأخبار ، ويقيس ذلك بمقياس متطور ، ثم يستنتج النتائج المحتملة لما لديه .. ليس بوساطة التقارير فحسب ، ولكنه يصنع على شاشته صورة شبه حية ، لما يمكن أن يحدث .. بحيث تراه وكأنه حقيقة ، تم تصويرها بوساطة فرقة استطلاعية انتحارية ، وهذا يجعل اللعبة أكثر صعوبة ، بل تكاد تكون مستحيلة ، عندما يعلم خصمك دائمًا ما تنوى فعله ، أو كل ما يمكنك فعله ، بنسبة خطأ لا تتجاوز الواحد فى كل مائة ألف ، فى حين لا تملك أنت سوى حجب المعلومات عنه ، واستنتاج خطواته التالية ، بنسبة خطأ تبلغ واحد فى كل مائتين وخمسين .

سأله (أدهم) ، وقد جذب الأمر انتباهه بشدة :

ـ وأين هذا الكمبيوتر اللعين ؟

قال المدير :

ـ قبل أن تعلم أين هو ، ينبغى أن تدرك صعوبة المهمة ، فالإسرائيليون يعرفون الأهمية البالغة لهذا الجهاز ، ومدى ما سيمنحهم إياه من تفوق هائل ، لذا فسيحيطونه بكل ما يمكنهم من الحماية والرعاية ، وسيتعاملون مع كل من يقترب منه بمنتهى الشك والعنف .

غمغم (أدهم) :

ـ هذا أمر طبيعى .

تابع المدير :

ـ ينبغى أن تعلم أيضًا أن تدمير الجهاز وحده ليس الحل الأمثل ، فمن الممكن أن تمنحهم (أمريكا) غيره ، خلال ستة أشهر ، وعندما يحدث هذا ، لن يكون من السهل أبدًا تدمير الثانى ، ولا الثالث .

صمت (أدهم) لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

ـ لكل مشكلة حل .

بدا الارتياح على وجه المدير ، وهو يميل نحو (أدهم) قائلًا :

ـ (ن ـ ١) .. أرى منك أن تتولى هذه المهمة .

قال (أدهم) فى سرعة وحسم :

ـ هذا يشرفنى يا سيدى .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ ستتولى المهمة على نحو غير رسمى ؛ لأنك مازلت خارج صفوف المخابرات العامة ، ولـكنك ستعمل لحسابنا ، كما لو أنك واحد منا .. لأنك بالفعل واحد منا يا (ن ـ ١) ، حتى ولو قالت الأوراق الرسمية : إنك لم تعد على قيد الحياة .

بدا التأثر على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى فى الواقع ماذا أقول يا سيدى .

لوّح المدير بكفه ، قائلًا :

ـ لا داعى لأن تقول شيئًا ، فأنا لا أحب المواقف العاطفية .

ثم ناول (أدهم) مظروفًا مغلقًا ، وهو يستطرد :

ـ ستجد هنا جواز سفر ألمانيًا ، باسم (رودلف هاينز) ، به صورة يمكنك التنكر فى هيئتها بسهولة ، وستجد أيضًا جواز سفر فرنسيًا ، باسم (جان ريمون) ، يمكن استخدامه للطوارئ[٤] ، وهناك بطاقة من البطاقات السرية الخاصة بجهاز (الموساد) ، بها صورة ثالثة لك ،



بدا التأثر على وجه أدهم ، وهو يقول :
ـ لست أدرى فى الواقع ماذا أقول يا سيدى .

وتحمل اسم (اسحق زينون).. وكلها من صنع صديقك (قدرى) ، الذى يرسل إليك خالص تحياته .

تطلع (أدهم) إلى جوازى السفر والبطاقة ، وابتسم قائلًا :

ـ ما زالت أصابع (قدرى) تعلن تفوّقها ، فى هذا المضمار .

ثم تردّد لحظة ، قبل أن يسأل :

ـ وماذا عن (منى) ؟

ابتسم المدير ، قائلًا :

ـ إنها فى خير حال ، ولكنها لن تشاركك هذه المهمة .

هزّ (أدهم) رأسه فى بطء ، وقال :

ـ أعلم هذا .

كان فى أعماقه يتمنى لو أنها شاركته مهمته .. ويشعر بالارتياح أيضًا ؛ لأنها لم تشاركه إياها .. كان يتمنى رؤيتها ، ولكنه يفضّل أن تبقى فى أمان .. وحاول أن يبعد هذه الفكرة عن ذهنه ، وهو يسأل المدير :

ـ بقى أن أعرف أين هذا الكمبيوتر ؟

أجابه المدير :

ـ فى (تل أبيب) .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ وهذه كل معلوماتنا عنه .

قال (أدهم) فى دهشة :

ـ أتعنى أن علىّ معرفة مكانه أيضًا يا سيّدى ؟.

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ألم أقل لك : إن الإسرائيليين يحرصون على هذا الجهاز أشدّ الحرص .. لقد بذل رجالنا هناك أقصى جهدهم ، لمعرفة مكان الكمبيوتر ، ولكنهم فشلوا تمامًا ، على الرغم من أن تركيبه يحتاج إلى دستة من العمال المتخصصين ، لمدة ثلاثة أيام على الأقل .

صمت (أدهم) لحظات أخرى مفكرًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ يمكنك أن تعتمد علىّ يا سيّدى .. سأعثر على (سيميولاتور) هذا بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، وأحسن التعامل معه .

ابتسم المدير ، قائلًا فى ارتياح :

ـ لم أتوقّع سوى هذا يا (أدهم) ، من الرجل الذى منحناه يومًا لقبًا فريدًا ، لم ينافسه فيه أحد .

واتسعت ابتسامته ، وهو يتابع فى فخر :

ـ لقب (رجل المستحيل) .

* * *

٣ ـ العودة من الجحيم ..

حدّق (إيزاك باراهودا) طويلاً فى ذلك الرجل ، الذى يقف أمامه ، والذى لم يتوقع قط رؤيته فى هذا المكان ، وهتف :

ـ (موشى) .. كنت أعلم أنك حى منذ التقينـــا فى (نيويورك) .

هبّ من مقعده ليصافح (موشى حاييم دزرائيلى) ، ولكن هذا الأخير استوقفه بإشارة باردة من يده ، وهو يقول :

ـ خطأ يا (إيزاك) .. من التقيت به فى (نيويورك) لم يكن أنا ، ففى ذلك الوقت كنت هنا ، فى مكان سرى فى (تل أبيب) ، أقضى فترة نقاهة ، وأزاول بعض التدريبات لاستعادة لياقتى ، بعد عودتى من ذلك الجحيم ، فى (برلين) الشرقية .

عاد (إيزاك) يحدّق فيه بدهشة بالغة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ أأنت واثق ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـ (موشى) لم يغادر (تل أبيب) لحظة واحدة ، منذ عام كامل يا (إيزاك) .

هتف (إيزاك) :

ـ من ذلك الذى رأيته فى مكتبى إذن ؟ .. من هو ؟

ضغط (موشى) أسنانه ، وهو يقول :

ـ لا يوجد سواه .. إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا (إيزاك) بمزيد من الدهشة ، وقال :

ـ (أدهم صبرى) ؟! .. ولكن (أدهم صبرى) لقى مصرعه منذ ...

قاطعه (موشى) في حزم :

ـ إنه لم يمت .. أراهن على هذا بحياتى .. إنهم لم يعثروا قط على جثته ، ومن المؤكد أن المخابرات المصرية قد أخفت خبر وجوده على قيد الحياة ، كما أخفت مخابراتنا خبر وجودى على قيد الحياة ..

بدا التوتر على وجه (إيزاك) لحظات ، ثم قال :

ـ بمناسبة هذا الحديث .. كيف يتفق كونك على قيد الحياة ، مع تأكيد القنصل بأنه تسلّم جثتك بنفسه ، عندما أرسلوها من (برلين) الشرقية ؟.

ارتسمت على شفتى (موشى) ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وهو يقول :

- لهذا قصة .
ومع آخر حروف كلمته ، قفزت ذاكرته إلى هناك ..
إلى (برلين) الشرقية ..

* * *

لم يدر (موشى) أبدًا كم بقى فاقد الوعى ، ولكنه استعاد هذا الوعى فجأة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، ولكن الضوء آلمه ، قبل أن يتبيَّن ما حوله ، فعاد يغلقهما ، وهو يتمتم بالعبرية :
- أين أنا ؟
لم يكن يتذكر ما أصابه ..
كل ما شعر به هو ألم حاد فى صدره ، وصداع شديد فى رأسه ، فكرَّر فى توتر شديد :
- أين أنا بالضبط ؟
أتاه صوت يقول باللغة الألمانية :
- جميل منك أن تحدَّثت بالعبرية ، فهذا يحسم التساؤل حول حقيقة شخصيتك .
وهنا تذكَّر كل شىء ..
تذكر مواجهته لـ (أدهم) ..
والمبارزة التى تمت بينهما ، على طريقة رعاة الأبقار .
ثم رصاصة (أدهم) ..

ورصاصته هو الطائشة ..
ثم الظلام التام [*] ..
وامتلأ صدره بغضب عارم ..
غضب كاد يعصف بكل خلية من خلاياه ..
لقد هزمه (أدهم صبرى) ..
هزمه وكاد يقتله ..
ولكنه حى ..
لم يشأ له القدر أن يموت ..
سيبقى ليثأر من قاتله ..
من (أدهم صبرى) ..
ومرة أخرى عاد ذلك الصوت الأنثوى يقول :
- أنت إسرائيلى .. أليس كذلك ؟
فتح عينيه فى بطء ، وأدرك أنه يرقد داخل حجرة طبية مغلقة ، وأمامه تقف امرأة شقراء ، فى أوائل الأربعينات من عمرها ، ترتدى زيًا عسكريًا ، من الأزياء الألمانية الشرقية ، وتعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة فى صرامة :
- لا داعى للإنكار .. لقد انكشف أمرك .

(*) راجع قصة (الجحيم المزدوج) .. المغامرة رقم (٦٧) .

سألها فى برود :
ـ من أنت ؟
أجابت بلا مبالاة :
ـ (أنيتا كاربوف) .. عقيد بالمخابرات الشرقية .. هاأنذا قد أجبتك من أنا .. أخبرنى إذن : من أنت ؟
قال ببروده المعتاد :
ـ بابا (نويل)[*] .
التقى حاجباها ، وهى تقول :
ـ هكذا .. إذن فأنت تهوى المزاح .
ثم خطت نحوه خطوة سريعة ، وهوت بلكمة قاسية على صدره ، فى موضع إصابته تمامًا ، فصرخ من الألم ، وصاح بها فى شراسة :
ـ لو فعلت هذا مرة أخرى ..
قبل أن يتم كلمته ، هوت على صدره بلكمة أخرى ، ثم تراجعت هاتفة :
ـ إنذار .
حاول أن يقفز من فراشه ليلكمها ، ولكن ثلاثة من

(*) بابا (نويل) : شخصية خيالية ، لقديس يظهر دائمًا فى أعياد الميلاد ، ويأتى طائرًا فى عربة خاصة ، تجرها حيوانات الرنة ، ليحمل الهدايا أو الهبات ، للأطفال والفقراء ، بهذه المناسبة .

الجنود المسلحين بالمدافع الآلية ، اقتحموا الحجرة إثر ندائها ، وصوَّبوا إليه مدافعهم ، فى حين عادت هى تعقد ساعديها ، وهى تقول فى سخرية :
ـ ماذا ستفعل ، لو أننى لكمتك مرة أخرى ؟
لم يبال بالرجال المسلحين ، وهو يقول :
ـ سأقتلك .
رفعت حاجبيها قائلة :
ـ حقًا ؟!
ثم تحرَّكت نحوه بسرعة ، وهوت بقبضتها على صدره ، ولكنه أمسك معصمها هذه المرة ، وقال فى غضب :
ـ لقد أخطأت .
ولوى ذراعها خلف ظهرها بحركة سريعة ، ولكنها صرخت :
ـ إلىّ يا رجال .
وهنا انقضّ عليه الرجال الثلاثة ، وراحوا يضربونه بكعوب مدافعهم فى صدره ورأسه ، وهو يصرخ :
ـ أيها الأوغاد .
ثم لم تلبث الدنيا أن أظلمت أمامه مرة أخرى ، و ... وغاب عن الوعى ..

ولأنه لم يحلم حلمًا واحدًا ، أو يسعر بما حوله ، فقد خُيِّل إليه أنه قد عاد إلى الوعى بعد لحظة واحدة ، ولكن الظلام كان يخيم على الحجرة فى هذه المرة ، ولم تكن هناك تلك الألمانية ، وإنما كانت هناك ممرضة باردة الملامح ، لم تكد تلمحه يفتح عينيه ، حتى التقطت سماعة الهاتف المجاور لها ، وقالت فى اقتضاب :

- لقد استيقظ .

لم تكد تنطقها ، حتى اقتحم الجنود الثلاثة الحجرة ، وصوّبوا إليه مدافعهم ، ثم تبعهم طبيب شاب ، اتجه إليه يفحصه على الفور ، وهو يقول :

- حاول أن تتماسك أعصابك هذه المرة يا هر (موشى) ، فالجنود لديهم أوامر بإطلاق النار عليك مباشرة ، لمجرّد الشك .

نقل (موشى) نظره بين الطبيب والجنود ، وهو يقول :

- أين أنا بالضبط ؟

أجابه الطبيب ، وهو يقيس نبضه :

- لست فى مستشفى ، كما قد يبدو لك ، ولكنك فى الواقع داخل مبنى المخابرات الشرقية ، وأنت هنا منذ شهر كامل ، فقد عثروا عليك مصابًا برصاصة فى صدرك ، المفروض أنها فى موضع القلب تمامًا ، ولكن

من حسن حظك أن قلبك ينحرف قليلًا إلى اليمين ، وهذا يحدث كثيرًا مع طوال القامة(*) ، مما جعل قلبك ينجو ، وحياتك كذلك .. ولقد أحضروك إلى هنا ، بناء على أوامر الجنرال (بافلوف) ، الذى طلب إسعافك ، والإبقاء على حياتك بأية وسيلة، حتى يمكنه استجوابك .

وهزّ رأسه مشفقًا ، قبل أن يتابع :

- أى أن المطلوب منا أن نبقى عليك ، حتى يمكنك احتمال الاستجواب والتعذيب .

تطلع إليه (موشى) فى برود ، دون أن يعلّق بحرف واحد ، فتابع الطبيب :

- لقد أجرينا لك عملية جراحية ناجحة ، والتأم جرحك تمامًا ، كما أننا استخرجنا الرصاصة من صدرك ، ولكنك ستشعر ببعض الألم فى موضع الإصابة ، لشهر آخر أو شهرين ، وبعدها ستصبح على خير ما يرام .

ورمقه بنظرة أكثر إشفاقًا ، وهو يستطرد :

- لو بقيت على قيد الحياة .

مرة أخرى لم يعلّق (موشى) ، وإنما سأل :

- متى ينوون استجوابى ؟

(*) حقيقة علمية .

هزّ الطبيب كتفيه ، وقال :

ـ أوامر الجنرال (بافلوف) أن يتمّ استجوابك فور استعادتك لوعيك ، والعقيد (أنيتا) فى طريقها إلى هنا الآن .

قال (موشى) فى بطء :

ـ هذا يعنى أن ...

ثم جحظت عيناه فجأة ، وأمسك صدره فى قوة ، وراح يلتقط أنفاسه فى صعوبة ، فهتف الطبيب بالممرضة :

ـ إنه يعانـى أزمـة .. أحضرى مليجرامـين من الكورتيزون ، ومثلهما من الأمينوفيللين .. أسرعى .

ارتفع صوت أنفاس (موشى) ، وراح صدره يعلو ويهبط فى قوة ، فى حين ارتطمت الممرضة بالجنود الثلاثة ، وصاحت بهم :

ـ أفسحوا الطريق .

التفت إليهم الطبيب ، وصاح فى غضب :

ـ قفوا خارجا .. هذا الرجل لا يمكن أن يكون مؤذيا ، فى وضعه هذا .

ترددوا لحظات ، ثم غادروا المكان فى بطء ، وأغلقوا الباب خلفهم ، ولم يكد آخرهم يفعل ، حتى وثب (موشى) من فراشه فجأة ، وقد استعاد كل نشاطه وحيويته ، فتراجع الطبيب فى ذعر ، هاتفا :

ـ إذن فهى خدعة .

هوى (موشى) على فكه بكل قوته ، وهو يقول :

ـ صدقت .

ثم لكمه بكل قوته فى معدته ، وعاد يلكمه فى أنفه وأسنانه أربع مرات متتالية ، قبل أن يمسك رأسه بكفيه ، ويديره إلى اليسار فى سرعة وعنف ..

وجحظت عينا الطبيب ، وأصدر عنقه فرقعة مخيفة ، قبل أن يسقط على الفراش جثة هامدة ..

وفى سرعة ، وعلى الرغم من آلام صدره ، نزع (موشى) حلة الطبيب ومعطفه ، وارتداهما فى سرعة ، ثم ألقى الطبيب على فراشه ، ووضع فوقه الغطاء ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها الممرضة إلى الحجرة ، هاتفة :

ـ ها هى ذى العقاقير التى طلبتها .

اختنقت الكلمات فى حلقها دفعة واحدة ، عندما وقع بصرها على (موشى) ، الذى أغلق الباب خلفها فى سرعة ، وهو يقول :

ـ هل أفزعك وجودى ؟

سقطت العقاقير من يد الممرضة ، وهمّت بإطلاق صرخة مدوية ، لولا أن أحاط (موشى) فمها بكفه ، ورفع المبضع الجراحى بيده الأخرى نحو عنقها ، وهو يقول فى غلظة باردة :



حاولت (أنيتا) أن تسحب مسدسها ، ولكن قبضته كانت أسرع إلى فكها ، فلكمها لكمة زلزلت كيانها ..

ـ لن تشعرى بالفزع بعد هذا قط .

وذبحها بالمبضع فى سرعة ، ودون أدنى شفقة أو رحمة ، وهو يكتم صرخة الألم فى حلقها ، وتدفقت الدماء من عنقها غزيرة ، لتلوث ثوبها ومعطفها الأبيض ، قبل أن يلقيها أرضا بلا مبالاة ، ويستدير إلى الباب ، قبل أن تصل (أنيتا) ..

ولم تمض لحظات ، حتى دفعت (أنيتا) الباب ، ورأته من ظهره فى معطف الطبيب ، وهو ينحنى على الفراش ، فقالت بغطرسة :

ـ هل أصيب مريضك بنوبة قلـ ...

بترت عبارتها بغتة ، وحدقت فى جثة الممرضة الذبيحة ، فى حين التفت إليها (موشى) ، وهو يقول فى شراسة :

ـ لقد حان دورك .

حاولت (أنيتا) أن تسحب مسدسها ، ولكن قبضته كانت أسرع إلى فكها ، فلكمها لكمة زلزلت كيانها ، وألقتها أرضا ، وقبل أن تنهض كان ينقض عليها بالمبضع نفسه ، مستطردا :

ـ وكم يسعدنى أن أفعل هذا .

وغاص المبضع فى قلبها ، فشهقت ، واتسعت عيناها فى ألم ، قبل أن تسقط إلى جوار الممرضة جثة هامدة ..

وفى حركة سريعة ، انتزع (موشى) مسدسها ، ووضع يده على موضع الألم فى صدره ، وهو يتمتم :

ـ لن يكون الفرار من هنا سهلاً أبدًا .

التقط نفسًا عميقًا ، ثم ألقى نظرة على ساحة المبنى ، عبر قضبان نافذة حجرته ، وحدّد الوسيلة التى سيتخذها للفرار ، ثم ثبت كاتم الصوت على فوهة مسدس (أنيتا) ، واتجه إلى الباب ، وفتحه دفعة واحدة ، فالتفت إليه الجنود الثلاثة فى هدوء وتساؤل ، ثم لم يلبث تساؤلهم أن تحوّل إلى فزع متوتر ، عندما وقعت أبصارهم على وجهه ، وعلى المسدس الذى يحمله ، ورفع كل منهم فوهة مدفعه الآلى ..

ولكن (موشى) لم يمهلهم ..

لقد أطلق (موشى) عليهم رصاصات المسدس الكاتم للصوت ، وأرداهم قتلى فى لحظات ، ثم حمل أحد المدافع الآلية ، واندفع عبر الممر الطويل ، الذى يقول إلى الساحة الخارجية ..

وفجأة ، راح يطلق النيران على الجنود فى الساحة ، وباغتهمْ بهجومه ، حتى أن أحدهم لم يفق من أثر المفاجأة ، إلا وهو جثة هامدة ، فعلى الرغم من أن عملهم يحتم عليهم الاستعداد الدائم لصد أى هجوم ، إلا أنهم

يتأهبون دومًا لصد هجوم من الخارج ، وليس من الداخل ..

وفى سرعة ، قفز (موشى) داخل سيارة مصفحة ، وانطلق بها مخترقًا باب المبنى ، وابتعد فى سرعة فائقة ، والرصاصات تنطلق خلفه كالمطر ..

ولكنه كان يشعر بالارتياح ..

صحيح أنه يشعر بآلام شديدة فى صدره ، ولم يغادر (برلين) الشرقية بعد ، ولكنه خرج سالمًا من مبنى المخابرات الشرقية ..

من قلب الجحيم ..

* * *

«وأين قضيت تلك الفترة ؟» ..

انتبه (موشى) من ذكرياته ، على صوت هذا السؤال ، الذى يلقيه (إيزاك) ، فالتفت إليه ، وقال :

ـ ساعدنى بعض عملائنا فى (ألمانيا الشرقية) ، وقضيت هناك عامًا كاملاً ، عاجزًا عن الفرار من ذلك السوار الحديدى ، ورجال المخابرات الشرقية ينبشون الأرض بحثًا عنى ، حتى صدر القرار بهدم سور (برلين) ، وتوحيد الألمانيتين ، فرحلت إلى (ألمانيا الغربية) ، ومنها إلى هنا ، حيث قضيت عامًا كاملاً للنقاهة والتدريب .

سأله (إيزاك) :

ـ وماذا عن تلك الجثة ، التى أرسلوها ؟

أجابه مدير (الموساد) :

ـ كانت جثة مشوهة ، أدركنا على الفور أنها ليست جثة (موشى) ، ولكننا لم نعلن هذا ، بل أرسلنا عملاءنا لتحرّى الأمر هناك .. وكان ما كان .

تهلّلت أسارير (إيزاك) ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت حى يا (موشى) .. عظيم .

ثم لم يلبث الشحوب أن كسا وجهه فجأة ، وهو يستطرد :

ـ ولكن هذا يعنى أن (أدهم صبرى) أيضًا على قيد الحياة .

قال (موشى) :

ـ وأن (سونيا) تعرف عنه الكثير .

ثم برقت عيناه ، وهو يتابع :

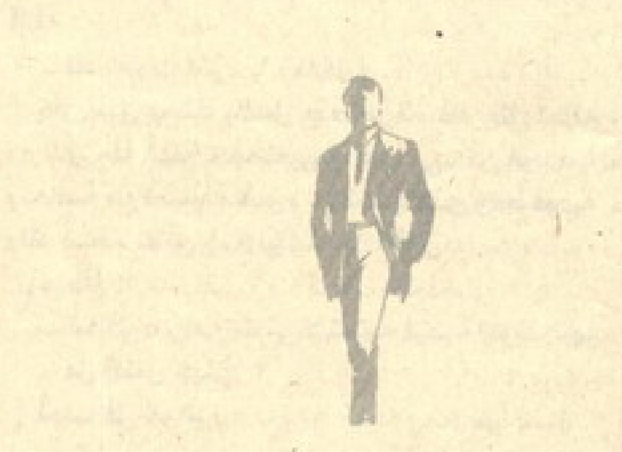
ـ ولكن الموقف الآن يروق لى ، فأنا أعرف أن (أدهم صبرى) على قيد الحياة ، فى حين يجهل هو تمامًا أننى كذلك ، وهذا يمنحنى نقطة تفوّق فى هذا الصراع ، الذى اشتعل من جديد ، ولن ينتهى إلا بمصرع أحدنا .. إما أنا ، أو ...

واكتسى صوته بشراسة مخيفة ، مع استطرادته الحازمة :

ـ أو (أدهم صبرى) .

وارتجف (إيزاك) فى خوف .

★ ★ ★



٤ ـ فى قلب الهدف ..

اختفى وجه (مايكل) كله ، خلف ابتسامة عريضة ، وهو ينهض لمصافحة (سونيا جراهام) فى حجرة مكتبها ، داخل قصرها المنيف ، وابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وهى تصافحه بأطراف أصابعها ، وتتأمله قائلة :

ـ لقد تغيرت كثيرًا يا (مايكل) .

كان يبدو مختلفًا بالفعل هذه المرة ، فقد حلق لحيته ، وارتدى حلة أنيقة ، جعلته يبدو على شىء من الوسامة ، وبخاصة مع تصفيفة شعره ، والشيب الذى وخط فوديه ، ولقد أسعده تعليق (سونيا) كثيرًا ، فقال :

ـ حقًا ؟!

سألته فى صرامة ، حتى لا تمنحه فرصة التودد إليها :

ـ هل اكتمل جيشك ؟

أجاب فى حماس :

ـ بالطبع يا سيدتى .. إنها فرقة صغيرة ، ولكن رجالها من أقوى المحترفين ، الذين عرفتهم فى حياتى كلها ، ويجيدون استخدام معظم أنواع الأسلحة ، و ...

قاطعته فى ضجر :

ـ وهل أخبرتهم شيئًا عنى ؟

هز رأسه نفيًا فى حرارة ، وقال :

ـ مطلقًا يا سيدتى .. لقد اتبعت أوامرك بمنتهى الدقة ، وكل ما يعرفونه الآن هو أنهم يعملون لحسابى ، وأن عليهم أن ينفذوا كل ما آمرهم به ، دون مناقشة أو اعتراض .. إنهم لا يعرفون أى شىء عنك .

ابتسمت قائلة :

ـ عظيم .

ثم أخرجت من درج مكتبها ورقة ، ألقتها أمام (مايكل) ، قائلة :

ـ اقرأ هذه الورقة جيدًا .

كانت الورقة تحمل صورة (أدهم صبرى) ، وعنوان مزرعته فى (كيواوا) ، فسألها (مايكل) :

ـ ماذا نفعل به ؟

برقت عيناها فى شدة ، وهى تقول :

ـ اقتله .. حطمه تحطيمًا ، ولا تبقِ على ذرة واحدة من مزرعته .. انسف كل شىء .. اقتل الجياد .. والخدم .. كل شىء .

ابتسم ابتسامة واسعة ، وكأنما يروق له ما سيفعل ، ونهض قائلًا :

- كما تأمرين يا سيدتى ..
ثم انحنى أمامها ، مستطردا :
- هل من أوامر أخرى ؟
أشارت بيدها ، قائلة :
- كلا .. يمكنك الانصراف .
أخرج من جيبه أحد أشرطة الفيديو ، وناولها إياه ، قائلا :
- هذا الشريط يحوى صورة لفرقتك الانتحارية ، وأسلوب تدريباتها .. يسعدنى أن تستمتعى بمشاهدته .
أومأت برأسها ، دون كلمة واحدة ، وهى تلتقط الشريط ، وتضعه بلا مبالاة على مكتبها ، فقال (مايكل) :
- تحياتى يا سيدتى .
وغادر حجرة مكتبها بخطوات واسعة سريعة ، فى حين أشعلت هى سيجارتها فى توتر ملحوظ ، وراحت تنفث دخانها فى عصبية ..
وفى أعماقها راح صوت يصرخ ..
ماذا فعلت يا (سونيا) ؟ ..
بل ماذا تفعلين ؟ ..
لقد أصدرت منذ لحظات أمرًا بقتل الرجل الذى تحبين .. الرجل الوحيد الذى سلبك قلبك ، وكنت تظنين أنك بلا قلب ..

كيف فعلت يا (سونيا) ؟ ..
كيف أمرت قاتلا حقيرًا بالتخلص من الرجل الذى تعشقين ؟ ..
من والد طفلك الوحيد ؟!
راح جسدها يرتجف فى عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وكادت تقفز من مقعدها ، وتنادى (مايكل) ، وتطالبه بإلغاء كل ما أمرته به ، لولا أن صرخ داخلها صوت آخر :
- لا .. لا تتراجعى ..
إنه يستحق القتل ..
صحيح أنك تحبينه ، وكنت مستعدة لبذل روحك من أجله ..
ولكن ماذا عنه هو ؟ ..
هل يحبك ؟ ..
لا يا (سونيا) .. إنه لم يحبك أبدًا ..
لم يمنحك ذرة واحدة من قلبه ، وأنت التى منحته قلبك كله ..
إنه حتى لم يحاول ..
صحيح أنه قضى إلى جوارك ما يزيد على العام ، إلا أنه أبدًا لم يحاول حتى منحك شيئًا من حبه ..

لقد ظل يحبها هى ..

يحب تلك التى هرع إليها ، عندما تعرَّضت للخطر ، وتركها هى خلفه ، دون أن يهتمّ بغضبها وغيرتها[*] ..

تضاعفت عصبيتها ، عندما بلغت هذا القدر ، فأطفأت سيجارتها فى قوة ، وغادرت حجرة مكتبها فى حدة ، واتجهت إلى الطابق العلوى من قصرها ، وهناك دخلت إلى حجرة صغيرة ، وألقت نظرة على الطفل الجميل ، النائم فى مهده ، وهمست :

ـ نم يا صغيرى .. نم ملء جفنيك .. ستنتقم أمك من أبيك ؟ .. الذى هجرنا من أجل امرأة أخرى .. حاول أن تفهم وتقدّر يا صغيرى .. ليس أمامى سوى هذا .

ورفعت عينيها إلى صورة لـ (أدهم صبرى) ، فوق مهد الطفل مباشرة ، واردفت فى عصبية شديدة :

ـ صدقنى .. ليس أمامى سوى هذا .

وتضاعف توترها أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

«سيداتى آنساتى سادتى .. نحن نستعد الآن للهبوط فى مطار (تل أبيب) .. برجاء ربط الأحزمة» والامتناع عن التدخين ، وتهانينا بسلامة الوصول » ..

(★) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .

تكرَّر النداء عدة مرات ، داخل طائرة شركة (العال) الإسرائيلية ، بعدد من اللغات المعروفة ، واسترخى (أدهم) فى مقعده فى هدوء ، وهو يشعر بشىء من الارتياح ، على الرغم من المهمة البالغة الخطورة ، التى يُقدم عليها ..

الارتياح ؛ لأنه يعمل هذه المرة لحساب المخابرات المصرية ، كما كان يفعل فيما مضى ، قبل أن يتزوّج (سونيا جراهام) ، وينعزل تمامًا فى مزرعته فى (كيواوا) ..

صحيح أنه كان يقاتل دائمًا فى سبيل (مصر) ..

وفى صفوف المخابرات العامة المصرية ..

إلا أنه كان يفعل هذا سرًا ، دون أن يعلن حتى عن وجوده ..

وفى كل مرة ، وعلى الرغم من نجاحه ، كان يشعر فى أعماقه بشىء من المرارة ؛ لأنه لا يستطيع حتى الإعلان عن وجوده ..

أما فى هذه المرة ، فهو يتلقّى تكليفًا بالعمل ، من مدير المخابرات نفسه ..

صحيح أنه ليس تكليفًا رسميًا ، ولكنه واضح وصريح ..

وهذا يكفيه ..

يكفيه أن مدير المخابرات كان يخاطبه معظم الوقت برمزه الكودى (ن - ١) ..

ذلك الرمز الذى لم يسمعه منذ زمن طويل ..

والذى اشتاق إليه ..

وعلى الرغم من أن الطائرة تستعد للهبوط به فى قلب أرض العدو ، إلا أن ابتسامة كبيرة ارتسمت على شفتيه ، وهو يغمغم فى جذل :

ـ مرحى يا (أدهم) .. لقد عادت الأيام الخوالى ..

لم تفارقه ابتسامته ، حتى هبطت الطائرة فى مطار (تل أبيب) ، وراح ينهى إجراءاته الجمركية ، وتطلع إليه ضابط الجوازات طويلاً ، قبل أن يفحص جواز السفر ، قائلاً :

ـ ما سبب زيارتك لـ (إسرائيل) يا أدون (رودلف) ؟

أجابه (أدهم) بابتسامة عريضة :

ـ السياحة .

سأله الضابط فى شىء من الاستهتار والسخرية :

ـ والذى يرغب سائح ألمانى فى رؤيته هنا ؟.

قال (أدهم) فى سخرية مماثلة :

ـ أرغب فى رؤية من تبقى منكم ، بعد قرارات (هتلر) الحكيمة .

التقى حاجبا الضابط فى غضب ، وقال :

ـ هل تميل إلى الدعابات الثقيلة يا أدون (رودلف) ؟

سأله (أدهم) بنفس ابتسامته الساخرة :

ـ وهل تميل أنت إلى الدعابات السمجة ؟

عضَّ الضابط شفتيه فى غيظ ، ثم استدار ، وناول الجواز لأحد زملائه ، قائلاً :

ـ أريد صورة واضحة لكل صفحة من صفحات هذا الجواز .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ يبدو أنك تميل إلى السخافات الغبية أيضًا .

ضرب الضابط مكتبه بقبضته فجأة ، وهو يقول :

ـ اسمع أيها الألمانى .. لولا الأوامر المشدَّدة بحسن معاملة السائحين ، لجذبتك من أذنيك الآن ، وألقيت بك فى أوَّل طائرة ، عائدة إلى (ألمانيا) .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًّا ؟! .. أكاد لا أحتمل الانتظار ، لرؤيتك تفعل هذا .

انقبضت عضلات الضابط الإسرائيلى ، وبدا الغضب على وجهه ، ولكن زميله تدخَّل فى سرعة ، قائلاً :

ـ ها هو ذا جواز السفر .. لقد صوَّرته كله ، وهو سليم تمامًا .



ألقى حاجبا الضابط فى غضب ، وقال :

ـــ هل تميل إلى الدعابات الثقيلة يا أدون (رودلف) ؟

ثم ناول (أدهم) جواز السفر ، مستطردا :

ـ مرحبا بك فى (إسرائيل) يا أدون (رودلف) .. نتمنى لك إقامة طيبة .

التقط (أدهم) جواز السفر ، وقال :

ـ هذا هو ما أحب سماعه .

ثم ألقى نظرة ساخرة على الضابط الأول ، قبل أن ينصرف فى هدوء ، فهتف الضابط فى حدة :

ـ هذا الألمانى الحقير .. المفروض أن نمنع دخول أمثاله هنا .

ربت زميله على كتفه مهدئاً ، وهو يقول :

ـ اهدأ يا رجل .. لو أننا فعلنا هذا مع كل سائح ، فسنفقد نصف عائداتنا السنوية .. هيا .. احتملهم بعض الشىء .

زفر الضابط فى حنق ، وألقى نظرة مقت على (أدهم) ، الذى يغادر مبنى المطار ، ثم قال :

ـ أرسل كل صور جواز سفره إلى دائرة الأمن ، وأبلغهم أننى أشك فى أمره ، وأن عليهم أن يفحصوا جواز سفره جيداً .. كل سنتيمتر منه ، ولو عثروا على خطأ .. أدنى خطأ ، فعليهم الإبلاغ عنه على الفور .. هل تفهم ؟

ابتسم زميله ، وقال :

- نعم .. أفهم ، ولكنك تضيع الوقت فى رغبة ثأرية لا طائل منها .

صاح به :

- هذا شأنى ..

ضحك زميله ، قائلا :

- فليكن .. سأرسله على الفور ..

وأرسل صور جواز السفر ..

وبدأت مرحلة الخطر ..

* * *

لم يكد (أدهم) يغادر مبنى مطار (تل أبيب) ، حتى وجد واحدة من سيارات الأجرة تتجه إليه ، وسمع سائقها العربى يقول بالانجليزية :

- هل ترغب فى زيارة حائط المبكى يا سيدى (*) ؟

قال (أدهم) بألمانية سليمة :

- هل نقلوه إلى هنا ؟

(*) حائط المبكى : هو الجزء المتبقى من معبد بناه النبى (سليمان) ، بعد خروج اليهود من (مصر) بحوالى ٤٨٠ سنة ، ولقد هدم الرومان المعبد عام سبعين ميلاديًا ، ولم يتبق منه سوى حائط واحد ، أطلق عليه اليهود اسم حائط المبكى ، لأنهم يذهبون للبكاء إلى جواره ، ضمن بعض طقوسهم المستحدثة .

هزّ السائق كتفيه ، وقال :

- بل هو الذى جاء .

كانت هذه عبارة شفرية متفق عليها ، لم يكد السائق يتبادلها مع (أدهم) ، حتى فتح هذا الأخير الباب الخلفى للسيارة ، ودلف إليها ، فانطلق بها السائق على الفور ، وهو يقول :

- اسمى (زياد) .. مرحبًا بك فى (فلسطين) .

قال (أدهم) مبتسمًا :

- أتمنى لو عاد إليها اسمها يا صديقى .

ثم سأله فى اهتمام :

- هل توصلتم لشىء ؟

أجابه (زياد) فى ضيق :

- مطلقًا .. الإسرائيليون يقيمون جدارًا من الصلب ، حول هذا الجهاز ، بحيث لم تتسرب معلومة واحدة عنه .

غمغم (أدهم) :

- هذا أمر طبيعى .

ثم عاد يسأله :

- هل تعرف من المسئول عن عملية تركيب (سيميولاتور) ؟

أجابه (زياد) :

ـ هناك معلومات تقول : إنه العقيد (أورلوف) ، ولكن ما من أدلة تؤكد هذا .

سأله (أدهم) :

ـ لماذا اقترحوا (أورلوف) إذن ؟

هزّ (زياد) كتفيه ، وقال :

ـ إنه المسئول عن الحرب الإليكترونية ، ثم إنهم يحيطون مسكنه بحراسة أكثر كثافة ، منذ يومين بالتحديد .

غمغم (أدهم) ، بعد فترة من الصمت :

ـ أعتقد أنني أميل إلى هذا أيضًا .

مطّ (زياد) شفتيه ، وقال :

ـ إنه طرف خيط على أية حال .

ثم أردف في حزم :

ـ على أية حال ، نحن جميعًا سنتعاون معك ، طوال فترة وجودك هنا .. أنت تعرف وسيلة الاتصال بنا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ بلى يا صديقي .. أعرفها .

أوصله (زياد) حتى فندقه ، وقال بصوت مرتفع ، وهو يناوله حقيبته الوحيدة :

ـ أشكرك يا سيدى على البقشيش السخى .. أنت كريم بحق .

اتجه (أدهم) مباشرة إلى موظف الاستقبال ، وقال :

ـ لديك هنا حجز باسم (رودلف هاينز) .

ابتسم الموظف ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (إسرائيل) يا أدون (رودلف) .. لدينا هنا بالفعل حجز باسمك .. لقد اخترت الحجرة رقم مائة وثلاثة وستين .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) :

ـ بلى .

سأله الرجل في حيرة :

ـ ولماذا هذه الحجرة بالذات يا أدون (رودلف) ؟ .. إن حمامها صغير الحجم ، ونوافذها تطلّ على شارع جانبي ، ولدينا حجرة خالية ، تطلّ على الطريق الرئيسى ، ولو أردت أن ...

قاطعه (أدهم) :

ـ كلا .. أريد الحجرة التى طلبتها .

ثم استدرك وهو يغمز بعينه :

ـ إنها ذكرى عاطفية خاصة .

رفع الموظف حاجبيه ، دلالة الفهم ، وهو يقول :

ـ آه .. هكذا ؟
ثم أنهى الإجراءات بسرعة ، مستطردًا :
ـ نتمنى لك إقامة طيبة هنا يا أدون (رودلف) .
وفى أعماقه ارتسمت ابتسامة أخرى ، وهو يتساءل :
ـ ترى هل سيعرف موظف الاستقبال يومًا ، لماذا اختار هو هذه الحجرة بالذات ؟ ..
هل ؟! ..

★ ★ ★

عبر (موشى دزرانيلى) ممر مبنى (الموساد) فى خطوات واسعة ، حتى بلغ حجرة مدير الجهاز ، واستقبله سكرتير المدير بلهفة حقيقية ، وهو يقول :
ـ أدون (موشى) .. المدير طلب رؤيتك على وجه السرعة .
أجابه (موشى) ببرود :
ـ أعلم هذا .
ثم دفع باب مكتب المدير ، مستطردًا :
ـ لهذا أنا هنا .
استقبله المدير أيضًا بلهفة ، وهو يقول :
ـ ادخل يا (موشى) .
تلفت (موشى) إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ ماذا هناك يا سيدى ؟ .. لقد طلبت حضورى على الفور .
أجابه المدير ، وهو يلقى إليه بجواز سفر :
ـ هل تعرف صاحب هذا الجواز ؟
ألقى (موشى) نظرة على الجواز ، وقال فى حذر :
ـ إنه لا يبدو مألوفًا .
قال المدير بابتسامة منتشية :
ـ هذا هو الفارق ، بين البشر وأجهزة الكمبيوتر .
سأله (موشى) :
ـ ما الذى تشير إليه بالضبط ؟
أجابه المدير :
ـ لقد اشتبه أحد ضباط الجوازات فى صاحب هذا الجواز ، فأرسل صورة الجواز إلى دائرة الأمن ، وهناك بدا لهم الجواز سليمًا ، ولكنهم ، وكإجراء روتينى بحت ، أرسلوه إلى مكتب المخابرات ، كما يحدث مع أى جواز يتم الاشتباه فى أمره .. وعندما وصلت صور الجواز إلى مكتبنا الفرعى ، قام بالتحرى عن رقمه ، عن طريق الكمبيوتر ، الذى يتصل بدوائر الأمن الأوروبية ، فوجد أن الجواز مسجل برقم واسم صاحبه ، ولكن لوحة البيانات التى نقلها الكمبيوتر ، كانت تحمل صورة مختلفة

لصاحبه ، وهنا أرسلنا نبحث عن جواز السفر الأصلى ، فى كل الفنادق فى (تل أبيب) ، حتى عثرنا عليه لدى موظف الاستقبال ، فى أحد الفنادق الكبرى ، ولم يكن صاحبه قد استعاده منه بعد ، عندما تركه لتسجيل بياناته كالمعتاد ، وكاختبار للكمبيوتر الجديد (سيميولاتور) ، قمنا بتغذيته بصورة صاحب الجواز ، وطلبنا منه تحديد كل البيانات المرتبطة بصاحب الصورة .

ثم تألقت عيناه ، وهو يتابع :

ـ وكانت النتيجة مدهشة .

ولوّح بالجواز ، مستطردًا :

ـ هل تعرف من الشخص الذى وصل إلى (تل أبيب) ، مستخدمًا هذا الجواز الألمانى ؟

برقت عينا (موشى) ، وهو يهتف بصوت خنقه الانفعال :

ـ أتقصد أنه ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فهتف المدير فى حرارة :

ـ نعم .. إنه هو .. (أدهم صبرى) .. لقد جاء بقدميه إلى هنا ، ووقع بين أيدينا .

وعلى الرغم من برود (موشى دزرائيلى) الشهير ، ارتجف صوته من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ بل بين يدىّ أنا يا سيّدى .. لقد ارتكب (أدهم صبرى) أكبر خطأ فى حياته .

وضمّ قبضته ، مردفًا فى مقت :

ـ وآخر خطأ .

* * *



٥ ـ الرهينة ..

توقفت سيارة فاخرة ، من طراز خاص ، يتم صنعه بأعداد تدخل قائمة الندرة ، وأسعار تحوى ستة أصفار ، أمام المبنى الضخم ، لشركة الإليكترونات الكبرى فى (نيويورك) ، وهبط منها رجل هادئ ، بسيط المظهر ، أنيق الملبس ، يرتدى منظارًا طبيًا ، ويطلق شاربه ولحيته القصيرة ، وأسرع أحد موظفى الشركة لاستقباله ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا سيدى .. مستر (بورسالينو) ينتظرك على أحر من الجمر فى مكتبه .

نظر إليه الرجل فى هدوء ، وقال :

ـ فليكن .. هأنذا .

صحبه الرجل إلى مصعد خاص ، بعيدًا عن المصاعد التى يستخدمها موظفو الشركة ، ولاحظ ذلك الزائر أن المصعد أكثر فخامة مما ينبغى ، فقال بابتسامة لطيفة :

ـ يبدو أن رئيسك يهوى الفخامة .

ابتسم الرجل فى ارتباك ، وقال :

ـ هذا صحيح .

لم يكن الزائر مخطئًا فى رأيه هذا ، فقد صعد به المصعد إلى الطابق الثلاثين ، حيث وجد أمامه ممرًا فخمًا ، قاده إلى حجرة واسعة ، يواجه بابها مكتب ضخم ، من طراز أثرى نادر ، ومن خلف المكتب نهض (تونى بورسالينو) يصافح زائره ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (نيويورك) يا دكتور (صبرى) .

صافحه الدكتور (أحمد صبرى) بدوره ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا مستر (بورسالينو) ، ولكن ما يزال هناك الكثير الذى أجهله . حتى بعد وصولى إلى هنا .

أشار إليه (تونى) بالجلوس ، وهو يجلس بدوره ، قائلًا :

ـ ستجد الجواب لكل أسئلتك يا دكتور (صبرى) .

ثم تناول علبة من العاج ، وفتحها أمامه ، قائلًا :

ـ هل ترغب فى التدخين ؟ .. إنه سيجار كوبى فاخر .

هز الدكتور (أحمد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. التدخين يؤدى إلى ضعف الرئة ، واضطراب ضربات القلب ، وسوء الهضم ، و ...

قاطعه (تونى) ضاحكًا :

ـ كفى بالله عليك .. إنها ليست محاضرة عن أضرار التدخين .

ثم مال نحوه ، وهو يشعل سيجاره ، مستطردًا :

ـ ماذا عن كأس من الـ ...

قاطعه الدكتور (أحمد) هذه المرة :

ـ لا .. هذا يتعارض مع ديانتى .

ابتسم (تونى) بشىء من الاستخفاف ، وهو يقول :

ـ بالطبع .

ثم تراجع فى مقعده ، ونفث دخان سيجاره ، قائلًا :

ـ والآن ما الذى تحب معرفته ؟

أجابه الدكتور (أحمد) فى سرعة ، وكأنه كان ينتظر السؤال :

ـ سبب دعوتى إلى هنا .

سأله (تونى) :

ـ لماذا قبلت الحضور ، لو أنك لا تفهم السبب ؟

هزّ الدكتور (أحمد) كتفيه ، وقال :

ـ لم يكن فى هذا ما يضير ، فلقد تلقيت دعوتكم فى أثناء إجازتى ، ولقد أرفقتم بها تذكرة السفر ، وقلتم إن لديكم عرضًا مغريًا ، يصعب رفضه ، وكان من الطريف أن أقضى إجازتى فى (نيويورك) ، وأعرف عرضكم فى الوقت ذاته .

ابتسم (تونى) ، وقال :

ـ تفكير حكيم .

ثم نفث دخان سيجاره مرة أخرى ، وبدت عليه علامات التفكير لحظات ، قبل أن يقول فى صوت هادئ :

ـ ما رأيك فى مليون دولار سنويًا ؟

كان العرض مبهرًا بحق ، حتى أن عينى الدكتور (أحمد) اتسعتا فى دهشة ، وهو يقول :

ـ مليون دولار ؟!

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ مقابل ماذا ؟

أجابه مبتسمًا :

ـ مقابل عملك بالطبع .. أنت خبير بجراحات المخ والأعصاب .. أليس كذلك ؟

قال الدكتور (أحمد) :

ـ بلى ، ولكن أى عمل هذا ، الذى يستحق مليون دولار سنويًا ؟

هزّ (تونى) رأسه ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ يبدو أنك لا تقدّر نفسك حق قدرها يا دكتور (أحمد) .. إنك لست خبيرًا عاديًا ، من خبراء جراحة المخ والأعصاب .. إنك صاحب تخصص نادر ، ودقيق ، وهو جراحة المخ الميكروسكوبية ، ونحن كشركة كبرى للإليكترونيات ، نريد أن نضع كل إمكاناتنا تحت تصرفك .

سأله فى حذر :
ـ لماذا ؟
أجابه فى حماس :
ـ ليستفيد كل منا بخبرات الآخر .
ثم نهض من خلف مكتبه ، وأطفأ سيجاره ، وهو يستطرد :
ـ إننا نريد إجراء أبحاث كبرى ، حول إمكانات استخدام الإليكترونيات ، لعلاج أمراض المخ والأعصاب ، ولدينا هنا خبراء عباقرة ، فى عالم الإليكترونيات ، ولكننا نفتقر إلى خبير فى المخ والأعصاب ؛ لهذا اتصلنا بك .
شاركه الدكتور (أحمد) حماسه ، وهو يقول :
ـ إنه مشروع رائع .
التفت إليه (تونى) ، هاتفًا :
ـ أرأيت ؟
نهض الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :
ـ أطلعنى على التفاصيل ، وسأوقع العقد اليوم .
ربّت (تونى) على ظهره فى حرارة ، وهو يقول :
ـ عظيم .. سيصحبك خبراؤنا إلى المصنع ، لترى أحدث ما توصلوا إليه ، وتكوّن فكرة متكاملة حول المشروع .

صافحه الدكتور (أحمد) ، قائلًا :
ـ اتفقنا .
لم تمض دقائق ، حتى كان أحد الخبراء يصطحب الدكتور (أحمد) إلى المصنع ، فى حين دخل (تونى) الحجرة الملحقة بمكتبه ، ووقف باحترام أمام (سونيا جراهام) ، وهو يقول :
ـ لقد وافق تقريبًا .
أومأت برأسها ، قائلة :
ـ لقد رأيت كل شىء على شاشتى .
سألها فى اهتمام :
ـ ولكننى لست موافقًا على هذا المشروع .. إنه سيكلفنا مبالغ طائلة ، ولن نفيد منه كثيرًا ، و ...
أوقفته بنظرة صارمة ، قبل أن تقول :
ـ ومن طلب موافقتك .
ارتبك قائلًا :
ـ إنه مجرّد رأى .
هتفت فى غضب :
ـ غبى .
احتقن وجهه فى توتر بالغ ، ولكنها تابعت :
ـ المشروع برمته لا يعنينى كثيرًا أو قليلًا ، على

الرغم من أن نجاحه سيدر على الشركة مليـــارات الدولارات ، ولكن الذى يعنينى حقًا هو الدكتور (أحمد صبرى) .. أريد منه أن يعمل هنا ، تحت عينىّ ، وفى متناول يدى ، حتى يمكننى استخدامه وقتما وأينما أشاء .

قال فى حيرة :

ـ استخدامه ؟!

أجابت :

ـ نعم .. استخدامه كرهينة .

هتف وقد تضاعفت دهشته أضعافًا :

ـ رهينة ؟!

قالت فى حدة :

ـ لا شأن لك بهذا .. إنها قضية تخصنى وحدى .

ثم ارتسم المقت ، كل المقت ، فى صوتها وملامحها ، وهى تضيف :

ـ قضية قررت أن أكون فيها القاضى والمحلفين ، و ...

وضربت مكتبها بقبضتها فى عنف ، مستطردة :

ـ والجلاد ..

شعر (تونى) بالخوف ..

الخوف الشديد ..

* * *

تحرك (أدهم) فى حذر ، فوق ذلك الإفريز الضيق ، الذى يصل ما بين نافذة حجرته ، ونافذة الحجرة المجاورة ، قبل أن يثب داخل الحجرة الأخرى ، عبر نافذتها ، التى فتحها فى مهارة وسرعة ، وفى هدوء ، اتجه إلى الفراش الصغير ، فى جانب الحجرة ، وأزاح أحد ألواحه ، ثم دفع حقيبة صغيرة فى التجويف الناشئ ، قبل أن يعيد اللوح إلى موضعه ، ثم يعود إلى النافذة ، ويعبرها إلى الإفريز الضيق ، ثم يغلقها خلفه ، وينتقل إلى حجرته ، وهو يبتسم قائلًا فى سخرية :

ـ كل شىء يسير على ما يرام ، حتى هذه اللحظة .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى سمع طرقًا على باب حجرته ، أعقبه صوت يقول :

ـ خدمة الغرف .. هل يمكننا تغيير ملاءات الفراش ؟

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على ملاءة الفراش ، التى بدت له نظيفة للغاية ، ثم قال بصوت مرتفع :

ـ لحظة واحدة .. سأرتدى ثيابى وأفتح الباب .

انتظر رجال (الموساد) ، الذين ينتحلون شخصية خدم الفندق ، عدة دقائق ، ثم قال (أحدهم) فى عصبية :

ـ أراهن أنه كشف الأمر .

تراجع الثانى ، هاتفًا :

- في هذه الحالة لا يوجد مجال للتفكير .

ودون تردد ، أطلق النار على قفل الباب ، ثم دفعه بقدمه ، واندفع مع زميليه إلى الحجرة ، وصاح :

- إنها خالية .

أسرعوا إلى النوافذ ، وصاح أحدهم ، وهو يشير إلى أعلى :

- ها هوذا .

كان (أدهم) يتسلّق سلم الطوارئ في سرعة ، صاعدًا إلى أعلى ، فصوّب الرجال الثلاثة مسدساتهم إليه ، وصاح أحدهم بكل قوته :

- قف يا رجل ، وإلا أطلقنا النار .

ولكن (أدهم) لم يتوقّف ، وإنما واصل صعوده بسرعة ومرونة مدهشتين ..

وانطلقت الرصاصات خلفه ..

رصاصة أصابت السلم ، وأخرى حطمت نافذة قريبة ، أما الثالثة ، فقد أصابت طرف حاجز السطح ، وانحرفت في عنف ..

ووصل (أدهم) إلى السطح ، وابتسم في سخرية ، قائلًا :

- من الواضح أنكم تحتاجون إلى تدريبات مكثفة في الرماية ، يا رجال (الموساد) .

وفي نفس اللحظة ، كان أحد رجال (الموساد) يصعد سلم الطوارئ خلفه ، في حين أسرع الثاني يصعد السلم الداخلي للفندق ، واستقلّ الثالث المصعد إلى السطح ..

أما (أدهم) ، فقد تطلع عبر حاجز السطح إلى البناية المجاورة ، وقال :

- عظيم .. كل شيء كما توقّعته تمامًا .

وتراجع إلى الخلف عدة أمتار ، ثم انطلق يعدو نحو الحاجز ، في نفس اللحظة التي ظهر فيها أحد رجال (الموساد) ، وهو يهتف :

- قف يا رجل ، وإلا ..

ولكن (أدهم) لم يتوقّف ، وإنما قفز يضرب حاجز السطح بقدمه ، ثم يثب إلى سطح البناية المجاورة ..

ولثوان ، بدا (أدهم) كطير عملاق ، وهو يقفز من سطح إلى آخر ، في مرونة ورشاقة مدهشتين ..

واتسعت عينا رجل (الموساد) في ذهول ، ولم يطلق رصاصة واحدة ، حتى لحق به زميلاه ، وصاح به أحدهما :

- أين هو ؟

- أشار إلى سطح البناية المقابلة ، وهو يقول :

- لقد .. لقد قفز .



ثم انطلق يعدو نحو الحاجز ، فى نفس اللحظة التى ظن فيها أحد رجال (الموساد) وهو يهتف : قف يا رجل ، وإلا ..

رددا فى دهشة :

ـ قفز ؟!

قاسا بعيونهما المسافة بين البنايتين ، وتمتم أحدهما :

ـ مستحيل !

قال الأوَّل ، والذهول لم يفارقه بعد :

ـ بل قفز .. لقد رأيته بنفسى ، و ...

ارتج عليه لحظات ، ثم هتف فجأة :

ـ أبلغوا الزملاء .. أبلغوهم ليلقوا القبض عليه ، قبل أن يهرب .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كان (أدهم) يخلع عن وجهه قناع (رودلف هاينز) ، ليبدو من تحته وجه (جان ريمون) ، ثم يخلع سترته ، ويقلبها ، ثم يرتديها من الناحية الأخرى ، وقد تبدَّل لونها ، وتغيرت هيئتها ، وأطلق صفيرًا طويلًا منغومًا ، وهو يغادر البناية الثانية ، متمتمًا :

ـ وهكذا انتهى (رودلف هاينز) ، ووُلد (جان ريمون) .

كان الهرج والمرج يسودان المكان ، عندما دخل هو الفندق مرة ثانية فى هدوء ، وقال لموظف الاستقبال بفرنسية لا يرقى إليها الشك :

- هناك حجز باسم (جان ريمون) .
راجع الموظف سجلاته فى سرعة ، وابتسم قائلاً :
- نعم يا أدون (جان) .. لدينا باسمك الحجرة رقم مائة وأربعة وستين .. مرحبًا بك فى (تل أبيب) ، ونتمنى لك إقامة طيبة فى (إسرائيل) .
تركه (أدهم) يدوّن بيانات جواز السفر الثانى ، الذى يحمل بدوره تأشيرة دخول متقنة الصنع ، وصورة الوجه الذى يحمله هو الآن ، وهو يبتسم فى هدوء ، شأن أى سائح فرنسى عادى ..
كانت خطته تسير على خير ما يرام ..
استفزاز ضابط الجوازات ..
السخرية من الأمن الإسرائيلى ..
كان يعلم أن هذا سيثيرهم ضد الألمانى (رودلف هاينز) ، وسيدفعهم إلى محاولة إلقاء القبض عليه واستجوابه ..
وهنا يشعل الألمانى النيران ..
ويقاتل فى شراسة ..
ثم يختفى ..
وتثور ثائرة الإسرائيليين ، ويقلبون الأرض للبحث عن الألمانى ، ويجندون قوتهم من أجل الهدف ..

وفى هدوء ، يتحرّك هو ، ويظهر الفرنسى (جان ريمون) ، دون أن يشعر به أحد ، ليبدأ عمله المحدود ..
كانت خطة متقنة بحق ..
فيما عدا ثغرة واحدة ..
(سيميولاتور) ..
لقد أعد خطته كلها ، وهو يعلم أن الاسرائيليين لم ينتهوا بعد من تركيب الكمبيوتر الضخم ، ولم يبدأوا فى استخدامه ..
ولكن حتى هذا كان جزءًا من السرية ، التى أحاط بها الإسرائيليون جهازهم الجديد ، الذى سيمنحهم التفوق المنشود .
لم يكن تركيب الكمبيوتر يحتاج لأكثر من يوم واحد ، على الرغم من كل ما به من تعقيدات وتركيبات ..
ولكن هكذا هم ..
مبالغون فى الحذر ..
وفى الوحشية ..
وفى هدوء صعد (أدهم) إلى الحجرة المجاورة لحجرته ، ومنح خادم الفندق بقشيشًا سخيًا ، جعل الرجل يهتف :
أشكرك يا مسيو .. أشكرك بحق .

وما أن أغلق الخادم الباب خلفه ، حتى تحرّك (أدهم) نحو الفراش الصغير ، فى جانب اللوحة ، وأزاح اللوح عنه ، والتقط حقيبة أدوات تنكره ومسدسه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ كل شىء على ما يرام .

ووضع المسدس فى حزامه ، ثم اتجه إلى المرآة ، وقال وهو يفتح علبة أدوات التنكر :

ـ كل ما نحتاج إليه ، هو لمسات بسيطة ، و ...

قاطعه صوت خلفه ، يقول :

ـ ورصاصة فى الرأس .

استدار (أدهم) فى حركة سريعة إلى مصدر الصوت ، ووثبت يده لتلتقط مسدسه ..

ثم توقّف تمامًا ..

كان أمامه شاب يصوّب إليه مسدسه ، وهو يرتكن إلى حائط الحمام ..

آخر شاب يتوقّع رؤيته فى هذه اللحظة ..

أو حتى فى هذا العالم ..

كان (موشى) ..

(موشى حاييم نزرانيلى) .

★ ★ ★

٦ ـ اللقاء الرهيب ..

بدا القلق واضحًا ، فى عيون أعضاء مجلس إدارة شركة الإليكترونيات الكبرى ، على الرغم من الابتسامة الواسعة ، التى استقبلوا بها (تونى) ، وهو يدخل قاعة الاجتماعات ، فى حلة بالغة الأناقة كعادته ، ثم يجلس فى مقعده الخاص ، على رأس المائدة ، ويشير إليهم قائلًا :

ـ اجلسوا أيها السادة .

جلسوا والتوتر يكاد يعصف بنفسهم ، وعقلهم يتساءل عن سر ذلك الاجتماع المفاجئ ، الذى دعاهم (تونى) لحضوره ، ولقد تركهم (تونى) لتوترهم ، وهو يشعل سيجاره فى بطء ، وينفث دخانه فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ إنكم تتساءلون بالطبع عن سبب هذا الاجتماع .. أليس كذلك ؟

همهموا بكلمات غير مفهومة ، فاتسعت ابتسامته ، وقال :

ـ لقد قررت رفع مكافأة أعضاء مجلس الإدارة إلى الضعف .

تهللت أساريرهم ، وهبوا من مقاعدهم يصفقون فى حرارة ، وهمّ هو بقول شىء ما ، لولا أن أتاه صوت (سونيا) ، من خلال المسماع الدقيق داخل أذنه ، وهى تقول :

- اتركهم فترة أطول .. أريد التأثير عليهم جيدًا .

أطاعها وهو يبتسم ، حتى انتهوا من تصفيقهم ، وعادوا إلى مقاعدهم ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- ولكننى فى الواقع تراجعت عن قرارى السابق .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهوت قلوبهم بين أقدامهم ، وراحت تخفق فى قوة وعنف ، عندما قال وهو ينفث دخان سيجاره :

- لست أقصد قرار مضاعفة المكافأة بالطبع .

لهثوا من فرط الانفعال ، قبل أن يضيف فى حزم :

- بل القرار الخاص بالإبقاء على أعضاء مجلس الإدارة .

كادوا يسقطون صرعى ، وارتفعت منهم همهمات عجيبة ، أطلقت لها (سونيا) ضحكة ظافرة ، وهى تراقبهم على شاشتها ، وقالت لـ (تونى) ، عبر المسماع الدقيق ، الذى لا يسمعه سواه :

- رائع .. لقد نضجوا تمامًا ، ويمكنك الآن أن تفعل بهم ما يحلو لك .

ابتسم (تونى) ، وهو يقول :

- القانون بالطبع يعطينى حق إجراء تغيير محدود فى مجلس الإدارة ، بعد شرائى للشركة ، طبقًا لاحتياجات العمل ومصلحته ، فلماذا لا أستغل هذا الحق ؟.

شحبت الوجوه ، وارتجفت الأطراف ، وراح كل منهم يتمنى من أعماق قلبه ألا يكون أحد المطلوب التخلص منهم ، ولكنى (تونى) لوّح بيده ، وهو يتابع :

- ولكن هذا أمر سابق لأوانه .

ثم أشار إلى مدير مكتبه ، فوضع أمام كل من أعضاء مجلس الإدارة ملفًا صغيرًا ، و (تونى) يتابع :

- أمامكم الآن مشروع جديد ، لتطوير جراحات المخ والأعصاب ، بوساطة إنجازاتنا التكنولوجية ، وهذا المشروع سيتكلف ما يقرب من عشرة ملايين دولار فى المرحلة الأولى ، ولقد وقعنا عقدًا مع خبير من خبراء جراحة المخ والأعصاب ، بمليون دولار سنويًا .. ما رأيكم .. هل توافقون على المشروع ؟

وكان من الطبيعى أن تكون الموافقة بالإجماع ..

وعندما عاد (تونى) إلى حجرة (سونيا) ، كان الحماس يملؤه ، وهو يهتف :

- رائع .. كل شىء سار كما خططت تمامًا يا سيدتى .. لم يجرؤ أحدهم على الاعتراض .

قالت في ثقة :

ـ هذا أمر طبيعي ، فلقد أصبح كل منهم يخشى فقد مقعده ، وخاصة بعد أن تضاعفت المكافأة .

ضحك وهو يقول :

ـ إنني أعترف لك بالعبقرية في التخطيط يا سيدتي .

قالت في برود :

ـ لست أول من يفعل .. إنها خبرة سنوات طويلة .

والتقى حاجباها وهي تستطرد :

ـ ولقد جندت كل هذا للانتقام .. الانتقام من رجل واحد .

ومن عينيها أطلت الكراهية ..

كراهية بلا حدود ..

★ ★ ★

مضت لحظة من الصمت ، و (أدهم) و (موشى) يتطلعان كل إلى الآخر ، وكل منهما يشعر بتوتر لا مثيل له ، لوجود الآخر على قيد الحياة ..

كانت مفاجأة حقيقية لـ (موشى) ، على الرغم من كل ما لديه من معلومات ، تؤكد وجود (أدهم) على قيد الحياة ..

أما الجزء الأكبر من المفاجأة ، فكان بالتأكيد من نصيب (أدهم) ..

لم يكن يتصور ، أو يتوقع أبدًا ، أن يكون (موشى) على قيد الحياة ، بعد أن أطلق عليه النار بنفسه ، في ذلك القبو ، في (برلين) الشرقية ..

ولكن أثر المفاجأة عليه لم يستغرق أكثر من ثوان معدودة ، اعتدل بعدها قائلًا في سخرية :

ـ يا لها من مفاجأة سارة .. كيف حالك يا (موشى) ؟

لم يحاول استغلال تنكره ، أو إنكار شخصيته ؛ فوجود (موشى) في حجرته يعني أنه لم تعد هناك فائدة لكل هذا ..

و (موشى) أيضًا لم يكن يتوقع منه إنكارًا أو مراوغة ..

وكان هذا يروق له ..

إنه لم يلتق في حياته كلها بخصم يناسب قدراته ، ويستفز في أعماقه روح القتال ، كما حدث مع (أدهم) ..

وفي هدوء بارد ، قال (موشى) :

ـ كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟ .. من الواضح أن كلينا عاد من الموت ..

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

ـ أو أننا لم نذهب إليه قط .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي (موشى) ، وهو يقول :

ـ إنه يخشانا يا صديقي .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :
ـ الموت لا يخشى أحدًا يا رجل .. إنه على رقاب العباد .
تلاشت ابتسامة (موشى) بنفس سرعة ظهورها ، وهو يقول :
ـ هل تعلم ؟ .. سيؤسفنى كثيرًا أن أقتلك ، فليس من السهل أن يجد المرء خصمًا مثلك .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :
ـ يبدو أنك حُرمت من اللعب واللهو فى طفولتك ، فرحت تبحث عنهما الآن .
هزّ (موشى) كتفيه ، وقال :
ـ كلانا لم ينعم بطفولة عادية .. وهذا أحد أوجه التشابه بيننا .
عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :
ـ ولكن كيف عرفت أنك ستجدنى هنا ؟
أشار (موشى) إلى رأسه ، وقال :
ـ إننا ـ كما يقولون ـ نفكّر على موجة واحدة ، وكل منا يعلم ما يمكن أن يفعله الآخر ، لو أنه فى نفس موضعه .. وعندما بدأنا البحث ، سألت موظف الاستقبال عن (رودلف هاينز) ، فقال : إنه يقيم فى حجرة بالطابق

السابع عشر ، اختارها بالتحديد ، وهنا سألت نفسى : لماذا يختار (أدهم صبرى) غرفة بعينها ؟ .. وكانت هناك ثلاثة إجابات لهذا السؤال .. إما أن أحدًا قد ترك شيئاً ما فى هذه الحجرة ، تريد استعادته ، أو أنها ذات موقع خاص ، أو هى مجرّد محاولة للتمويه .. وعندما درست موقع الحجرة ، أدركت أن العامل الثانى هو الأرجح ، فالحجرة ذات موقع ممتاز ، إذ أنها قريبة من سلم الطوارئ ، ولا تواجهها عبر الشارع الجانبى أية نوافذ أخرى ، ثم إنه هناك إفريز مشترك ، يربطها بالحجرة المجاورة لها .. ومع هذا الاستنتاج ، سألت عن صاحب الحجرة المجاورة ، وعلمت أنه فرنسى ، يدعى (جان ريمون) ، وعن طريق الكمبيوتر ، عرفت أنه لم يصل فرنسى واحد بهذا الاسم ، حتى لحظة وصولنا ، فقلت لنفسى : لو حضر الفرنسى ، وتسلّم حجرته ، فهو إذن (أدهم صبرى) .. ورأيتك تتسلّم مفاتيح الحجرة ، فسبقتك إليها ، وانتظرت حضورك .. هذا كل شىء .
اعترف (أدهم) لنفسه بذكاء (موشى) ، فقال مبتسمًا :
ـ من الواضح أنك تزداد حنكة ومهارة بمرور الوقت .
وفجأة ، تحرّك (أدهم) جانبًا ، ثم انزلق إلى أسفل ، وهو يهتف :

- ولكن هذا لا يصنع فارقًا ضخمًا .

أطلق (موشى) رصاصة مسدسه ، ولكنها أصابت المرآة ، وحطمتها بدوىّ مسموع ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (أدهم) واقفًا على قدميه أمامه ، وركل مسدسه فى حركة رشيقة ، قائلًا :

- ألا توافقنى على هذا ؟

تجاوز (موشى) عنصر المفاجأة فى جزء من الثانية ، ولكم (أدهم) فى معدته ، قائلًا :

- لا .. لست أوافقك عليه .

وثب (أدهم) يركله فى وجهه ، ثم دفعه بقدمه فى صدره دفعة قوية ، تفجّرت لها آلام رهيبة فى جسد (موشى) ، الذى ارتطم بالحائط فى عنف ، وسقط أرضًا وهو يسعل بشدة ، فتراجع (أدهم) ، وقال فى أسف حقيقى :

- معذرة .. لقد نسيت أن هذا هو موضع إصابتك .

هتف (موشى) فى ألم ساخط :

- لا تلعب دور الفارس يا رجل .. سنواصل القتال .

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يتجه إلى النافذة :

- لا يا (موشى) .. ليس لدى وقت لهذا الآن .. ربما فيما بعد ، عندما تستعيد صحتك .

صرخ (موشى) :

- قلت لك : سنواصل القتال .

ولكن (أدهم) وثب عبر النافذة إلى الخارج ، فهبّ (موشى) واقفًا ، واستعاد مسدسه ، وهو يندفع نحو النافذة بدوره ، هاتفًا :

- انتظر .

ولكنه رأى (أدهم) يتعلّق بطرف سلم الطوارئ ، ثم يصعده فى خطوات سريعة مرنة ، فقفز خلفه بدوره ، وراح يطارده فى إصرار ، حتى بلغ السطح ، ورأى (أدهم) يثب فوق حاجز السطح ، الذى يبلغ سمكه عشرين سنتيمترًا فحسب ، ثم يعدو فى خفة ، وكأنما ينطلق عبر طريق ممهد فسيح ..

وبلا تردد ، وثب (موشى) إلى حاجز السطح بدوره ، وراح يعدو فوقه خلف (أدهم) ، وهو يهتف :

- لن تذهب بعيدًا .

وفى الطريق اتسعت العيون كلها فى ذهول ، وأشار المارة فى ذعر إلى الرجلين ، اللذين يعدوان فوق الحاجز الضيق ، من ارتفاع ثمانية عشر طابقًا ، دون تردد أو خوف ، حتى بلغ (أدهم) نهاية الحاجز ، أو اقترب منه ، فتوقف (موشى) ، وصوّب إليه مسدسه ، هاتفًا :

ـ توقف .

كانت المسافة التى تفصله عن (أدهم) لا تتجاوز الأمتار الستة ، ولم يكن من الممكن أبدًا أن يخطئ رجل مثل (موشى دزرائيلى) هدفه ، حتى من ضعف هذه المسافة ..

بل من المستحيل أن يفعل ..

باختصار ، كان (أدهم) هدفًا سهلًا لرجل مثل (موشى) ..

ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

و (موشى) لم يطلق النار ..

لقد قطع (أدهم) الأمتار المتبقية على نهاية الحاجز بسرعة إضافية ، ثم وثب فى الفضاء ، فى مشهد شهق له المارة ذهولًا ، وصرخت له بعض النسوة ، وسقطت قلوبهن بين أقدامهن ، قبل أن يتعلق (أدهم) بإعلان مضىء ، ويتأرجح جسده لحظة ، ثم وثب مرة أخرى إلى سطح بناية قريبة ، وراح يواصل عدوه ..

وللثوان ، ظلّ (موشى) يصوِّب مسدسه إلى حيث كان (أدهم) ، وهويعقد حاجبيه فى شدة ويتطلع إلى الفراغ فى شرود ..

لماذا لم يطلق النار ؟

لماذا لم ينه حياة (أدهم صبرى) برصاصة واحدة ؟ ..

لماذا حتى لم يهتف برجاله ، ويطالبهم بمطاردته ؟ ..

لم يجد فى أعماقه جوابًا لكل هذه الأسئلة ، ولكنه تذكر أن (أدهم) كان يستطيع قتله فى حجرته منذ دقائق ، وخاصة بعد أن عرف نقطة ضعفه ، وأسقط مسدسه من يده ، ولكنه لم يفعل ..

وفى بطء ، خفض (موشى) مسدسه ، وهو يقول فى حنق :

ـ ابتعد يا (أدهم) .. اهرب إلى نهاية الدنيا ، ولكننا سنلتقى مرة أخرى حتمًا ، مادمت هنا فى قلب (إسرائيل) .. سنلتقى عندما أعرف هدفك ، الذى أتيت من أجله إلى هنا ، وعندئذ سيكون اللقاء عنيفًا .

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ وحاسمًا ..

* * *

انهمكت خادمة مكسيكية فى تنظيف وترتيب مبنى مزرعة (أدهم) ، فى (كيواوا) ، ولهثت بضع لحظات ، وهى ترفع عينيها إلى (بيزو) ، خادم (أدهم) الخاص ، وسألته فى اهتمام :

ـ ألم يخبرك سنيور (أميجو) متى سيعود من رحلته ؟

هزّ (بيزو) رأسه ، وقال :

ـ سنيور (أميجو) لا يخبر أحدا قط إلى أين يذهب ، ولا متى يعود .. إنه يعشق الحرية ، ثم ...

صمت لحظة ، قبل أن يتابع فى أسف :

ـ ثم إنه ما يزال يبحث عن سنيورا (نورما) ، وعن ابنه .

تنهدت الخادمة ، وقالت :

ـ مسكين هو سنيور (أميجو) .. إنه رجل مهذب حازم ، ولست أدرى كيف تزوّج سيدة شرسة متغطرسة ، مثل سنيورا (نورما) !

قال (بيزو) :

ـ إنها فاتنة ، باهرة الحسن .

هزت رأسها ، قائلة :

ـ كلا .. سنيور (أميجو) ليس من ذلك الطراز ، الذى يتزوّج امرأة ، لمجرّد أنها هيفاء القد ، أو فاتنة .. هناك سبب آخر حتمًا لزواجه منها .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ ولو أردت رأى امرأة خبيرة ، فهو لم يكن يحبها .

سألها فى دهشة :

ـ لماذا تقولين هذا ؟ .. لقد كان يعاملها طيلة الوقت بأسلوب شديد التهذيب .

قالت فى سرعة :

ـ وشديد الحزم أيضًا .. أنسيت كيف كانت شراستها تتلاشى ، وغطرستها تتمحى ، كلما رمقها بنظرة صارمة .

وتنهدت مرة أخرى ، مستطردة :

ـ كانت تعبده ، حتى أنه ليدهشنى أنها تركته هكذا .

قال فى اهتمام :

ـ ربما كان هذا بسبب امرأة أخرى .

تطلعت إليه فى استنكار شديد ، وهى تقول :

ـ امرأة أخرى ؟! .. أى قول هذا يا رجل ؟ .. هل يبدو لك سنيور (أميجو) من ذلك الطراز ، الذى يخون زوجته مع امرأة أخرى ؟!

ثم سألته فجأة ، وعلى نحو بدا له عجيبًا :

ـ قل لى : لماذا لا توجد صورة واحدة هنا لسنيور (أميجو) ؟

تطلع إليها فى دهشة ، ثم تلفّت حوله ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح .. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟

أجابته فى حماس :

ـ هذا لأنه رجل بسيط ومتواضع .. كل الأثرياء يضعون صورة ضخمة لهم ، فى ردهة قصورهم ، لأنهم مصابون بشىء من الغرور والنرجسية ، أما هو فلا .

عقد (بيزو) حاجبيه ، قائلاً :
ـ أو ربما هو يخفى شيئاً ما .
قالت فى لهفة :
ـ مثل ماذا ؟
هم بقول شيء ما ، إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه فجأة ، وهو يقول :
ـ هل تسمعين هذا ؟
أرهفت سمعها لحظة ، ثم سألته :
ـ وما هذا ؟
أجاب بسرعة :
ـ عدد من السيارات يقترب .
أسرعت إلى النافذة ، وتطلعت منها إلى الطريق ، الذى يمرّ عبر المزرعة ، حتى يصل إلى مبناها ، وقالت :
ـ هذا صحيح .. إنها ثلاث سيارات من طراز جيب ، وعلى متنها تسعة من الرجال على الأقل .
ثم بدت الحيرة فى ملامحها ، وهى تستطرد :
ـ إنهم يبدون أشبه بقوة من رجال الجيش ، بزيهم المموّه هذا ، و ...
قاطعها (بيزو) فى قلق شديد :
ـ ووجوههم لا توحى بالارتياح .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اقتحمت السيارات الثلاث السور المحيط بالمبنى فى عنف ، وقفز منها الرجال ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية ، وراحوا يمطرون المزرعة برصاصاتهم فى عنف سخى ..
وصرخت الخادمة :
ـ ما الذى يحدث هنا ؟
أما (بيزو) ، فقد أسرع إلى الهاتف ، وهو يصرخ :
ـ سأستدعى المأمور .
اتجه عدد من الرجال بالخارج إلى اسطبلات الخيول ، وراحوا يطلقون نيران مدافعهم على كل جواد فيها ..
وأطلقت الخيول صهيل ذعر ، وهى تحاول الفرار ، ولكن الرصاصات فجّرت رءوسها ، واخترقت صدورها ، فهوت جثثاً هامدة ، فى حين أشعل بعض الرجال النيران فى الاسطبلات ، وتركوا فريقاً آخر منهم يقتحم المبنى ..
وفى رعب هائل صرخت الخادمة ، والرصاصات تنسف كل شيء حولها ، ثم انقضّ عليها (مايكل) فجأة ، وألصق فوهة مسدسه برأسها ، صارخاً :
ـ أين سنيور (أسيجو) ؟ .. أين هو ؟
صرخت فى ارتياع :
ـ خارج البلاد .. لقد سافر منذ عدة أيام .



اتجه عدد من الرجال بالخارج إلى اسطبلات الخيول ، وراحوا يطلقون نيران مدافعهم على كل جواد فيها ..

صاح بها :

ـ الى أين ؟

أجابه (بيزو) ، وهو يرتجف :

ـ لسنا ندرى .. سنيور (أميجو) لا يخبرنا أبدا أين يذهب .

رفع إليه (مايكل) عينيه بحركة حادة ، وقال :

ـ آه .. أنت (بيزو) .. خادمه الخاص .

انتفض الخادم المذعور فى شدة ، وهو يجيب :

ـ نعم يا سنيور .. أنا هو .

وصرخت الخادمة :

ـ إننا لا نعرف شيئا .. أقسم لك .

تطلع إلى عينيها فى شراسة ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت لا تعلمين شيئا .

صرخت :

ـ نعم .. أقسم لك .

افتر ثغره عن ابتسامة وحشية رهيبة ، وهو يقول :

ـ لا حاجة لنا بك إذن .

اتسعت عيناها فى ذعر ، ولكنه ضغط زناد مسدسه فى لا مبالاة ..

ووثب (بيزو) من مكانه فى رعب لا حدود له ، عندما

شاهد الرصاصة تنسف رأس الخادمة المسكينة ، وتخترقه بلا رحمة ، ورأى (مايكل) يلقى جثتها فى لامبالاة ، وهو يتجه إليه ، قائلا :

- أعتقد أنك تعلم أين ذهب سيدك .

بكى (بيزو) فى انهيار ، وهو يقول :

- أقسم لك إننى لا أعلم .

جذبه (مايكل) إليه فى غضب ، وألصق فوهة مسدسه بصدغه ، وهو يقول فى حدة وشراسة :

- إذن فأنت تريد اللحاق بها .

صرخ (بيزو) :

- لا .. لا .. سأخبرك .

تألقت عينا (مايكل) فى ظفر ، وهو يقول :

- عظيم .. أين هو إذن ؟

لم يكن (بيزو) يعلم حقًا أين (أدهم) ، ولكنه أجاب عشوائيًا :

- فى الولايات المتحدة الأمريكية .. لقد رحل مع صديق إلى هناك .

ابتسم (مايكل) ابتسامة ضخمة ، وهو يقول :

- أأنت واثق من هذا ؟

هتف الخادم فى انهيار تام :

- هذا ما سمعته يا سنيور .. أقسم لك .

أجابه (مايكل) فى سخرية وحشية :

- حسن .. أنا أصدقك .

وضغط زناد مسدسه ، مستطردًا :

- ولم تعد لى حاجة بك .

وانفجرت جمجمة الخادم المسكين ، فألقاه (مايكل) إلى جوار الخادمة ، وصاح فى رجاله :

- لا تتركوا شيئًا يا رجال .

وانهمرت الرصاصات كالمطر ، واشتعلت النيران فى كل شىء ..

وعندما رحل جيش (سونيا) الصغير ، كانت مزرعة (كيواوا) قد اختفت ، ولم يتبق منها سوى أطلال ..

أطلال سوداء محترقة .

* * *

٧ ـ لمـــاذا ؟ ..

«بل كيف ؟ .. كيف ؟ .. كيف ؟ ..» ..

كرّر مدير (الموساد) سؤاله ثلاث مرات فى غضب ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، قبل أن يلوّح بسبّابته فى وجه (موشى) ، صائحًا :

ـ كيف سمحت له بالفرار ؟ .. لقد أرسلتك لمواجهته ؛ لأنك أقدر من يفعل .. أنت الوحيد الذى يمكن التصدّى له ، فكيف ينجح فى الفرار ، على الرغم من هذا ؟

قال (موشى) فى برود :

ـ لقد ساعدته الظروف .

صاح فى غضب :

ـ لا معنى لهذا الجواب .. المفروض أن نجند الظروف لحسابنا ، لا لحساب الخصم .

قال فى هدوء :

ـ هو أيضًا يعلم هذا .

رمقه المدير بنظرة محنقة ، قبل أن يقول :

ـ تتحدّث كما لو أن فراره أمر عادىّ .

هزّ (موشى) رأسه ، وقال :

ـ كلّا .. إنه ليس أمرًا عاديًا ، ولكنه أحد الاحتمالات الواردة ، حتى عندما نواجه خصمًا عاديًا ، وهذا الاحتمال يتضاعف عشر مرات على الأقل ، عندما يكون الخصم هو (أدهم صبرى) .

ثم استدرك فى سرعة ، قبل أن يعلّق المدير على عبارته :

ـ ولكننا لم نخسر كل شىء .

لوّح المدير بذراعه فى غضب ، قائلًا :

ـ حتى بعد فراره ؟

قال فى بساطة :

ـ لقد أثبتنا أنه على قيد الحياة على الأقل .

ومطّ شفتيه ، مستطردًا :

ـ ثم إنه لم يغادر (إسرائيل) .

قال المدير فى حدة :

ـ ولكن مهمة العثور عليه ستزداد صعوبة .

رفع (موشى) سبّابته أمام وجهه ، وقال :

ـ ليس إذا عرفنا لماذا أتى .

تطلّع إليه المدير لحظة فى تساؤل ، ثم قال :

ـ نعم .. هذا هو السؤال الحقيقى .. لماذا أتى (أدهم

صبرى) هذا إلى هنا ؟ .. ما المهمة البالغة الخطورة ، التى جعلته يتنازل عن سره ، ويخاطر بكشف أمره ، ويأتى بقدميه إلى (إسرائيل) ؟.

قال (موشى) ببرود :

ـ كشف أمره ، وقدومه إلى (إسرائيل) ، لا يمثل بالنسبة لرجل مثله مخاطرة تستحق القلق .

التفت إليه المدير فى حدة ، وقال :

ـ (موشى) .. يلوح لى أحيانًا أنك شديد الإعجاب بهذا المصرى .

أجابه (موشى) :

ـ لست أنكر هذا ، فحتى مع كونه خصمًا ، لا أملك إلا الإعجاب به ، ثم إنه لا يفعل شيئًا أعجز عنه ، فأنا أيضًا قمت بمهمة فى (القاهرة) ، قبل أن ...

قاطعه المدير فى حدة :

ـ فليكن .. دعنا من هذا ، وأخبرنى : لماذا أتى فى رأيك ؟

هزَّ (موشى) كتفيه ، وقال :

ـ من الدروس الأولى التى تعلمناها : أن أهمية العميل وكفاءته تتناسب دائمًا مع خطورة المهمة ، ورجل مثل (أدهم صبرى) يحتاج إلى مهمة تتناسب مع قدراته ، ولن

أستبعد أن يحاول اختطاف رئيس الوزراء ، وانتحال شخصيته ، فقدرته على المحاكاة تكاد تبلغ الـ ...

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يلتفت إلى المدير ، قائلًا :

ـ (سيميولاتور) .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، هاتفًا :

ـ ماذا ؟

أجابه (موشى) :

ـ (سيميولاتور) تعنى المحاكى .. وهذا هو الهدف ، الذى جاء (أدهم) من أجله إلى (إسرائيل) .

اتجه المدير إلى مكتبه ، وهو يردِّد مبهوتًا .

ـ أتظنه أتى من أجل هذا ؟

قال (موشى) فى حزم :

ـ لا يوجد هدف آخر ، يليق بـ (أدهم صبرى) .. لقد جاء حتمًا من أجل (سيميولاتور) .

بدا توتر عنيف على وجه المدير ، وهو يجلس خلف مكتبه ، قائلًا :

ـ نعم .. أنت على حق .

ثم أضاف فى حزم :

ـ وهذا يعنى رفع درجة الطوارئ القصوى ، فى مقر (سيميولاتور) .

قال (موشى) فى ارتياح :

ـ بل العكس هو الصحيح .. سنخفف درجة الطوارئ .

ثم ابتسم ابتسامة سريعة ، مستطردًا :

ـ ظاهريًا على الأقل .

تطلع إليه المدير لحظة ، ثم ابتسم قائلًا :

ـ فهمت .

بادله (موشى) ابتسامته ، وهو يقول :

ـ دعنا نجتذب صديقنا (أدهم) إلى هدفه ، ثم ...

وطرقع سبابته وإبهامه ، مردفًا فى شراسة :

ـ نسحقه .

وفى واحدة من المرات القلائل فى حياته ، ابتسم (موشى) ..

ابتسم فى جذل ..

* * *

أوقف (زياد) سيارته الصغيرة فى تلك المنطقة الهادئة ، من ضواحى (تل أبيب) ، وقفز منها ، واندفع عبر ممر طويل ، بين صفين من المنازل الصغيرة ، وهو يلقى نظرة جانبية على الجندى الإسرائيلى ، الذى تابعه ببصره فى حذر وتحفز ، ثم انحرف فى ممر ضيق ، بين منزلين متجاورين ، ووثب فجأة داخل أحد المنزلين ، ثم

عبر نافذته إلى ممر ثالث ، قطعه بخطوات سريعة للغاية ، أقرب إلى العدو ، وقفز منه إلى منزل آخر ، وسأل صاحبه :

ـ أهو هنا ؟

أومأ صاحب المنزل برأسه إيجابًا ، وأشار إلى أريكة بدائية ، فى ركن الحجرة ، فأزاحها (زياد) بسرعة ، وفتح بابًا سريًا خلفها ، ودلف إلى حجرة صغيرة ، فالتفت (أدهم) يتطلع إليه مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ كيف حالك يا صديقى ؟

هتف به (زياد) ، وهو يغلق الباب السرى خلفه :

ـ كيف حالك أنت ؟ .. الإسرائيليون يقلبون (تل أبيب) كلها بحثًا عنك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ دعهم يفعلون .

لوّح (زياد) بكفه ، وقال :

ـ لقد اتفقت مع الرفاق ، على تهريبك إلى الـ ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـ أشكرك يا صديقى ، ولكننى لا أنوى مغادرة (تل أبيب) ، فى الوقت الحالى .

هتف (زياد) :

- مستحيل .. سيعثرون عليك إن آجلا أو عاجلا .. أنت لا تدرك ما يفعلونه .

مال (أدهم) نحوه ، وقال :

- إننى أفهمهم جيدًا يا صديقى .. اطمئن .

ثم اعتدل مستطردًا :

- وما دام رفاقك بهذا الحماس ، فسأجندهم للقيام بمهمة أخرى .

قال (زياد) فى دهشة :

- مهمة ؟! .. المفروض ألا تغادر مكمنك قبل ...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

- أأنتم مستعدون لهذا ؟

تطلع إليه (زياد) فى حيرة ، ثم قال فى استسلام :

- تمام الاستعداد .

ابتسم (أدهم) وقال :

- عظيم .. استمع إلىّ جيدًا إذن ، فالمهمة التى سأكلفك إياها شديدة الأهمية ، وتحتاج إلى دقة بالغة .

قال (زياد) فى حسم :

- اطمئن .

وهنا بدأ (أدهم) يروى له خطته ..

وبمنتهى الدقة ..

* * *

«نجحت المهمة يا سيدتى .. » .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (سونيا) ، عندما نطق (مايكل) بهذه العبارة ، وهو يبتسم فى زهو ظافر ، وارتجفت أصابعها وهى تحاول إشعال سيجارتها ، وخُيّل إليها أن دموعها ستقفز فى عنف من مقلتيها ، فقاومتها فى شدة ، والتقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، سعلت بعده فى شدة ، وهتفت :

- اللعنة ؟ ..

لم تكن تصدق أذنيها ..

هل نجح (مايكل) وجيشها الصغير حقًا ؟! ..

هل قتلوا (أدهم) ؟ ..

هل أنهوا حياة ذلك العملاق الذى تتصارع أجهزة مخابرات عشر دول على الأقل للظفر به ؟ ..

كيف سقط فى أيديهم هكذا ؟ ..

من المستحيل أن يكون الأمر طبيعيًا ! ..

إنها تعرف (أدهم) جيدًا ..

حتى جيشها الصغير لم يكن ليوقفه ..

لا ريب أنهم قد باغتوه .

أو اغتالوه غيلة ..

ومرة أخرى رددت :

- اللعنة ! ..

سألها (مايكل) فى قلق :

- ماذا هناك يا مسز (أرثر) ؟

قالت فى عصبية :

- هذا الدخان اللعين أدمع عينى .

كانت حجة مناسبة ، تبرر الدموع التى عجزت عن حجبها ، فسالت على وجنتيها ، وأسرعت تمسحها قائلة فى حدة :

- هل دمرتم كل شىء ؟

أجابها (مايكل) فى زهو :

- نعم .. لم تعد هناك قطعة واحدة قائمة ، فى المزرعة كلها .. لقد دمرنا وأحرقنا كل شىء .. حتى السيارات والتحف ، وقتلنا الخيول والرجال والنساء ، و ...

قاطعته فى عصبية :

- وماذا عن سنيور (أميجو) ؟

بدا الأسف على وجهه ، وقال :

- إنه لم يكن هناك .

لم تدر لماذا رقص قلبها طربا ، عندما سمعت هذا الجواب ، ولا لماذا هتفت فى كثير من الارتياح :

- هل أفلت ؟

تطلع إليها (مايكل) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن كذب عينيه وأذنيه ، وقال :

- لقد سافر خارج البلاد ، قبل أن نصل إليه ، ولكننى استجوبت خادمه ، قبل أن أقتله ، وأخبرنى أنه هنا .. فى (أمريكا) .

سرت فى جسدها تلك القشعريرة مرة أخرى ، وهى تقول :

- هنا ؟!

ثم سيطرت على أعصابها بسرعة ، وقالت :

- فى هذه الحالة لا تكون المهمة مكتملة يا (مايكل) .

شحب وجهه ، وانكمش فى مقعده ، وهو يقول :

- ليس بسبب تقصير منا يا سيدتى .

قالت فى حدة :

- أعلم هذا ، ولكنها لم تكتمل .

بدت عليه الحيرة ، وهو يسألها فى حذر :

- وما الذى تقترحين أن نفعله يا سيدتى ؟

صمتت لحظات مفكرة ، ثم قالت فى حزم :

- لاشىء فى الوقت الحالى .. فقط دع رجالك يواصلون تدريباتهم ، ويحاولون اكتساب المزيد من المهارات ، قبل أن تحين المواجهة الحاسمة .

ازدرد لعابه فى قلق ، وهو يسألها :

ـ وهل ستكون هذه المواجهة الحاسمة مع جيش آخر ؟

هزت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ بل ستكون مع رجل واحد .

قال فى دهشة :

ـ رجل واحد ؟!

أجابته فى حزم :

ـ نعم يا (مايكل) .. رجل واحد ، ولكن عندما تحين لحظة المواجهة ، ويلتقى به جيشك ، ستدرك أن هذا الرجل الواحد يساوى جيشك كله .. وربما أكثر قليلًا .

قال فى دهشة تمتزج بشىء من السخرية :

ـ ومن هذا المعجزة ؟ .. (رامبو) ؟!

ابتسمت قائلة :

ـ لا .. ليس (رامبو)(*) .. إنه شخص حقيقى .. شخص يدعى (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

(*) (رامبو) : شخصية خيالية ، قدمها الممثل الأمريكى (سلفستر ستالون) فى عدد من الأفلام الأمريكية الناجحة ، وهى من ابتكار (دافيد موريل) ، الذى قدمها لأول مرة فى كتاب باسم (النزيف الأول) ، ومنه كان الفيلم .

ولم يدرك (مايكل) ما تعنيه ، ولكن الطريقة التى نطقت بها الاسم أحدثت شيئًا ما فى جسده ..

شىء اسمه الخوف ..

* * *

قضى الجنرال (بن عازر) ليلة أرقة ، راح يتقلب خلالها فى فراشه ، وهو يستجدى النوم ، حتى أصابه الملل ، فتمتم :

ـ يا لها من ليلة !

ارتجف جسده فى شدة ، عندما سمع على بعد متر واحد منه صوتًا يقول :

ـ أنت على حق .. إنها ليلة ليلاء .

هب الجنرال (بن عازر) من فراشه مذعورًا ، وحدق فى ذهول فى ذلك الشاب ، الذى جلس على طرف الفراش ، وصوب إليه مسدسه ، ثم قال فى توتر شديد :

ـ من أنت ؟

أجابه الشاب فى عبرية سليمة :

ـ لا تقلق نفسك بالبحث عن جواب لهذا السؤال .

قال (بن عازر) :

ـ ماذا تريد إذن ؟

هز الشاب كتفيه فى بساطة ، وقال :



هب الجنرال (بن عازر) من فراشه مذعورًا ، وحدّق فى ذهول فى ذلك الشاب ، الذى جلس على طرف الفراش ..

ـ لا شىء .. فقط سأستعير شخصيتك لعدة أيام ، أمنحك خلالها إجازة لطيفة .. ألست بحاجة إلى بعض الاستجمام ؟

حدّق (بن عازر) فى وجهه مرة أخرى ، ثم هتف :

ـ عرفتك .. أنت الرجل الذى يوزعون منشورًا باسمه وصورته ، منذ عصر اليوم .. أنت (أدهم صبرى) .

رفع (أدهم) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ حقًا ؟! .. يا للعبقرية !

وثب (بن عازر) من مقعده فجأة ، واندفع نحو الدرج ، الذى يحتفظ فيه بمسدسه ، وهو يهتف :

ـ أنت عدو لـ (إسرائيل) .

قال (أدهم) ، وهو يقفز خلفه فى خفة :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. أن تجبرنى على استخدام القوة .

ثم جذبه من عنقه ، وكال له لكمة شديدة العنف فى أنفه ، مستطردًا :

ـ ولكن يبدو أنكم تميلون إلى هذا .

تلقّى (بن عازر) اللكمة ، وانتفض جسده كله ، ثم هوى فاقد الوعى ، فانحنى (أدهم) يوثق معصميه

وكاحليه فى سرعة ، وأطلق صفيرًا خافتًا ، فبرز من حول فيلا (بن عازر) عدد من رجال المقاومة الفلسطينية ، تجاوزوا أسوار الفيلا فى خفةٍ ، دون أن يشعر بهم حارسها ، وسرعان ما أصبحوا داخل حجرة (بن عازر) ، وعلى رأسهم (زياد) ، الذى سأل (أدهم) فى حيرة :

ـ مازلت لا أفهم لماذا نسعى خلف (بن عازر) .. صحيح أنه يحمل رتبة جنرال ، ولكنه عديم القيمة ، فهو مسئول عن الشئون المعنوية فحسب ، وهم حتى لا يحيطونه بحراسة كافية .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ ولا يتوقعون ما فعلناه به ، وهذا ما يجعله أفضل شخصية تتيح لى حرية الحركة .. أضف إلى هذا موقع فيلته ، وكونه يحيا فيها وحده ، بعد أن ماتت زوجته ، ورحل ابنه إلى (أمريكا) .

هزَّ (زياد) كتفيه ، وقال :

ـ أنت القائد على أية حال .

ثم حمل جسد (بن عازر) مع رجاله ، وقال :

ـ أراك فيما بعد .

قال (أدهم) :

ـ سأعود بعد قليل .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ هل أعددت كل شىء .

أومأ (زياد) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. اطمئن .

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كان قد اختفى مع رجاله ، حاملين جسد (بن عازر) الفاقد الوعى ، أما (أدهم) ، فقد بقى داخل الفيلا لحظات ، يدرس كل ركن فيها ، ثم قال :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .

وجلس أمام المرآة ، وبدأ يزاول عمله .. وبكل مهارة ..

* * *

قال (موشى دزرائيلى) فى اهتمام ، لجندى الحراسة ، الذى يقف أمام حجرة صغيرة مغلقة :

ـ هل الرجل هنا ؟

أجابه الجندى :

ـ نعم يا سيدى .. لقد أتى به رجال الأمن إلى هنا مباشرة ، فور سماع شهادته كما أمرت .

دفع (موشى) باب الحجرة، وتطلع إلى الفلسطينى الشاب، الذى يجلس داخلها منكمشًا ، ثم سأله بلهجته الباردة:

ـ تقول : إن لديك معلومات عن (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟
أجابه الشاب فى خفوت ، وهو يتلفت حوله فى حذر :
ـ لست أعرف اسمه يا سيِّدى ، ولكننى رأيته يدخل أحد منازل منطقتنا ، ثم لا يخرج منه .
هزَّ (موشى) رأسه متفهمًا ، قبل أن يقول فى صرامة :
ـ هل تعرف عقوبة التلاعب بنا ؟
انكمش الشاب فى مقعده أكثر وأكثر ، وهو يقول :
ـ أعرفها جيدًا يا سيِّدى ، ولكننى لست أتلاعب بكم .
تطلع إليه (موشى) لحظات فى صمت ، وكأنه يحاول أن يستشف ما يخفيه ، ثم قال فى برود :
ـ متى حدث هذا ؟
أجابه الشاب مرتجفًا :
ـ عصر اليوم .. فى الثالثة والنصف تقريبًا .
رمقه (موشى) بنظرة أخرى ، قبل أن يقول :
ـ فليكن يا فتى .. ستبقى هنا بعض الوقت ، حتى نتأكد من قصتك ، وبعدها يمكنك الرحيل .
قال الشاب فى توتر :
ـ وماذا عن المكافأة ؟
أجابه فى ضيق :

ستحصل عليها ، لو عثرنا عليه .
ثم غادر الحجرة فى سرعة ، واتجه إلى حجرة مكتبه ، وقال لحارسها :
أخبر سكرتير المدير أن ...
قاطعه الحارس :
ـ المدير ينتظرك فى مكتبك يا سيِّدى .
قال (موشى) فى دهشة :
ـ فى هذه الساعة ؟!
ثم دفع باب مكتبه ، وتطلع إلى المدير قائلًا :
ـ مرحبًا بك يا سيِّدى .. لم أتصوَّر أبدًا أن أجدك هنا ، فى هذه الساعة المتأخرة .
قال المدير فى هدوء :
ـ هل استجوبت الفتى ؟
أجابه (موشى) :
ـ نعم .. وأعتقد أنه صادق ، وسأذهب الآن إلى الـ ...
قاطعه المدير فى حزم :
ـ لم يكن هناك داع لذهابك .
سأله (موشى) فى توتر :
ـ ماذا تعنى ؟
أجابه المدير فى حزم أكثر :

ـ أعنى أنك مازلت بحاجة إلى المزيد من التدريبات ؛ لاستعادة لياقتك ، وقدرتك على اتخاذ القرارات الصحيحة ؛ لذا فقد أمرت (إفرام) بالذهاب إلى حيث يختفى (أدهم صبرى) ، ومعه قوة كافية للإيقاع به .

صرخ (موشى) :

ـ (إفرام) .. ولكن هذا الغبى لا يؤمن إلا بالعنف ، ودون خطة أو ...

قاطعه المدير فى صرامة :

ـ لقد ذهب بالفعل ، ولم يعد هناك ما تفعله .

ثم التقى حاجباه ، وهو يضيف :

ـ وما هى إلا ساعة أو أقل ، ويسقط (أدهم صبرى) فى أيدينا .

ورفع رأسه مستطردًا :

ـ وياله من نصر !

ولم ينطق (موشى) حرفًا واحدًا ، على الرغم من كل ماتغلى به عروقه من غضب ، وبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على مشاعره ، والاحتفاظ بملامحه الباردة ، ولكنه أقسم بينه وبين نفسه أن أحدًا غيره لن يقتل (أدهم صبرى) أبدًا ..

وكان واثقًا من أن (إفرام) هذا لن يظفر بـ (أدهم) ، حتى ولو اصطحب معه جيشًا كاملًا ..

ولشدة ثقته ، وجد نفسه يبتسم ، وهو يقول للمدير :

ـ فليكن يا سيّدى .. دع (إفرام) يفاجئه .

ومع ابتسامته ، شعر مدير (الموساد) بالقلق .. القلق بلا حدود .

★ ★ ★



٨ ـ المعركة ..

انطلق صبى صغير يعدو ، بين تلك المنازل المتلاصقة ، فى الحى العربى بـ (تل أبيب) ، حتى بلغ المنزل القديم ، الذى يختبئ فيه (أدهم) ، وقال لصاحبه فى انفعال ، وهو يلهث بشدة :

ـ الإسرائيليون قادمون .

قال الرجل فى دهشة :

ـ فى هذه الساعة ؟!

أجابه (زياد) فى توتر :

ـ وهل هناك ساعة محدودة لتحرّكهم ؟

سأله الرجل :

ـ هل أتوا من أجله ؟

أجابه (زياد) :

ـ بالتأكيد .

ثم طرق باب الحجرة السرية فى توتر ، وقال :

ـ لقد حضروا .

غادر (أدهم) الحجرة فى هدوء ، وقال :

ـ كنت أتوقع هذا .

ناوله (زياد) مدفعًا آليًا ، وهو يقول :

ـ خذ .. ستحتاج هذا .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وربّت على مسدسه ، فى جيب سترته ، وهو يقول :

ـ لدى هذا .

هتف (زياد) :

ـ هل ستقاتل الإسرائيليين بمسدس واحد ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال مبتسمًا :

ـ إنهم لا يستحقون سوى هذا .

ثم سأله :

ـ أين سيارتك ؟

أجابه (زياد) :

ـ بالخارج ، ولكنها صغيرة ، ولن ...

قاطعه (أدهم) :

ـ ستكفى بإذن الله .. إلى اللقاء يا صديقى .. لاتنس ما اتفقنا عليه .

هتف به (زياد) :

ـ هل نعمل على تغطيتك ؟

لوّح (أدهم) بيده ، قائلاً :

- كلا .. إننى أحاول جذب انتباههم بعيدًا عن هذا الحى .

ثم ابتعد فى خطوات سريعة ، وغمغم صاحب المنزل :

- إنه مجنون .

قال (زياد) فى إعجاب :

- بل هو بطل .. بطل يندر وجوده ، فى مثل هذا الزمان .

أما (أدهم) ، فقد انطلق إلى حيث تقف سيارة (زياد) ، وألقى نظرة على طابور الإسرائيليين ، الذى يقترب من بعيد ، قبل أن يدير المحرّك ، قائلًا :

- هيا أيها الأوغاد .. سنبدأ السباق .

وانطلق بالسيارة .

ومن خلفه دوى صوت يهتف :

- ها هوذا .. إنه يهرب .

وكما توقّع تمامًا ، اتجه طابور الإسرائيليين كله خلفه ..

وبدأت مطاردة عجيبة ..

كان هو يقود سيارة صغيرة قديمة ، يطلق محركها الأنين تلو الآخر ، وهم يطاردونه بسيارات نصف مصفّحة ، وعربات (جيب) قوية ..

ولكنه كان يتخذ طرقًا شديدة الوعورة والصعوبة ، وهو يتجه إلى المنطقة المزدحمة ، فهتف (إفرام) :

- حاولوا إيقافه ، قبل أن يبلغ تلك المنطقة ، وإلا فقدنا أثره .

انطلق الرجال خلفه بسرعة أكبر ، ولكنه اتجه نحو ممر ضيق ، بين جدارين قديمين ، وأوقف سيارته إلى جواره ، ثم قفز منها ، واستدار يواجه السيارات القادمة نحوه ، وهو يصوّب إليها مسدسه ، فأطلق (إفرام) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

- يا للحماقة ! .. هل يظن أنه سيواجه سيارتين نصف مصفحتين ، وخمس سيارات (جيب) ، ودستتين من الجنود ، وهو لا يحمل سوى مسدس واحد ؟!

ولكن (أدهم) أطلق رصاصات مسدسه ..

ومع الرصاصات ، امتلأت نفس (إفرام) بالقلق ..

إنه لم يشاهد فى حياته كلها رجلًا يطلق النار ، بمثل هذه الدقة والمهارة ..

لقد أطلق (أدهم) رصاصته الأولى ، وأصاب الإطار الأمامى الأيسر لإحدى سيارات (الجيب) ، فانفجر الإطار ، ووثبت السيارة على نحو بالغ الخطورة ، ثم انقلبت على جانبها ، وتدحرجت ثلاث مرات ، قبل أن تستقر رأسًا على عقب ..

أما الرصاصتان الثانية ، والثالثة ، فقد أصابتا خزان الوقود بالسيارة المقلوبة ..

وحدث الانفجار ..

وصرخ (إفرام) :

ـ احترسوا .. احموا إطارات سياراتكم .

ولكن رصاصة (أدهم) الرابعة أصابت إطار سيارة ثانية ، فانقلبت بدورها ، ثم لم تلبث أن انفجرت ، برصاصتيه الخامسة والسادسة ..

ومن بعيد هتف (زياد) :

ـ انفجاران .. إذن فهو الذى يهزمهم .. ياله من رجل !

سأله زميل له :

ـ أتظنه يصمد حتى النهاية ؟

قال (زياد) فى حماس :

ـ نعم .

تنهد زميله ، وقال :

ـ أتعشم هذا .

لم يكن قلقه بأقل من قلق (إفرام) ، الذى شعر وكأنه يواجه كتيبة كاملة ، لا مجرد رجل واحد ، فصاح عبر جهاز اللاسلكى :

ـ نريد إمدادات .. نريد ...

قاطعه انفجار سيارة ثالثة ، فصرخ :

ـ نريد هليوكبتر حربية ، وبسرعة .

تلقى مدير (الموساد) هذا النداء فى دهشة ، وهتف :

ـ هليوكبتر حربية ؟! .. هليوكبتر لإلقاء القبض على رجل واحد ؟!

كتم (موشى) سخريته وشماتته ، وهو يقول :

ـ أرسل طائرتين .

التفت إليه المدير بنظرة غاضبة صارمة ، وهو يقول :

ـ طائرتان ؟! .. هل تمزح ؟

هز (موشى) كتفيه ، وقال :

ـ بل أحاول توفير قوة مناسبة .

بدا الغضب أكثر على وجه المدير ، وقال :

ـ ليس إلى هذا الحد .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، وقال :

ـ أرسلوا هليوكبتر حربية لمؤازرة (إفرام) .

وأنهى الاتصال ، وهو يتطلع إلى (موشى) ، قائلا :

ـ هذا أكثر مما نحتاج إليه ، لقتال رجل واحد .. حتى ولو كان هذا الرجل هو (أدهم صبرى) نفسه .

ولم يعلق (موشى) ، ولكنه فى أعماقه أطلق ضحكة طويلة ..

وساخرة ..

* * *

انهالت رصاصات الإسرائيليين على (أدهم) كالمطر ، ولكن هذا لم يمنعه من تصويب مسدسه إلى السيارة الرابعة ، ونسفها بطلقتين مباشرتين فى موضع خزان الوقود فيها ، قبل أن يعدو عبر الممر الضيق ، ويصرخ (إفرام) :

ـ الحقوا به .. إنه يتجه إلى منطقة فيلات الضباط ، وسيصبح من العسير إطلاق النار عليه هناك .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وصرخ في حنق :

ـ أين تلك الهليوكبتر اللعينة ؟

انطلقت السيارتان المصفحتان ، والسيارة (الجيب) المتبقية ، خلف (أدهم) ، وصاح (إفرام) ، من إحدى السيارتين المصفحتين :

ـ حطموا هذين الجدارين ، وانطلقوا خلفه .. لا تترددوا .

حطمت السيارتان الجدارين ، وانطلقتا خلف (أدهم) ، وخلفهما (الجيب) الأخيرة ، فى حين انطلق (أدهم) يعدو

بكل قوته ، متجها إلى منطقة فيلات الضباط ، ورصاصات الإسرائيليين تطارده فى إصرار ، حتى وثب خلف منزل قريب ، فهتف سائق سيارة (إفرام) :

ـ هل ننطلق خلفه ؟

صاح به (إفرام) :

ـ نعم .. انطلقوا خلفه ، وانسفوا المنزل لو اقتضى الأمر .

قال السائق فى توتر :

ـ إنه منزل إسرائيلى .

عضّ (إفرام) شفته فى غيظ ، وقال :

ـ حاصروه إذن .

سبقته السيارة الأخرى ، ودارت حول المنزل ، وعلى متنها خمسة من الجنود المسلحين ، وقال سائقها فى حيرة :

ـ أين ذهب ذلك الرجل ؟

لم يكد ينطق عبارته ، حتى وثب (أدهم) من فوق المنزل الصغير ، ليهبط وسط الجنود الخمسة تمامًا ..

وهبّ الجنود بأسلحتهم ، ولكن قبضة (أدهم) هشمت أنف أحدهم ، وحطمت فك الثانى ، ثم دفع رجلين آخرين بقدميه ، وهو يختطف قنبلة من حزام الخامس ، ثم يلقيه خارج السيارة ، قائلا :

- معذرة .. سأستعير هذه .
ونزع فتيل القنبلة ، ثم ألقاها في قلب السيارة نصف المضفحة ، وقفز خارجها ، وانطلق يعدو بكل قوته ..
وصرخ (أفرام) ، وهو يشير إليه :
- ها هوذا .. الحقوا به .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفجرت القنبلة ، ونسفت السيارة الأخرى بدوى هائل ، وتطايرت شظاياها على نحو جعل (أفرام) يحمى وجهه بذراعيه ، صائحًا في حنق :
- يا للشيطان !
استمرّ تطاير الشظايا لحظات ، ثم هدأ كل شىء بغتة ، وتلفّت (إفرام) حوله في غضب هادر ، وهو يقول :
- أين هذا الشيطان ؟
كان (أدهم) قد ابتعد كثيرًا ، وهو يعدو وسط الظلام ، مواصلًا طريقه نحو منطقة الفيلات ، ومغمغمًا في سخرية :
- ترى ما شعوركم الآن أيها الإسرائيليون ؟
لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع من خلفه ذلك الأزيز القوى ، الذى راح يتصاعد في سرعة ، حتى برزت الهليوكبتر بغتة ، من خلف تباب قريبة ، واتجهت نحوه ..
وصاح قائد الهليوكبتر :

- ها هوذا .. لقد عثرنا عليه .
صاح به (أفرام) ، عبر جهاز اللاسلكى .
- ماذا تنتظر إذن يا رجل ؟! .. أطلـــق رصاصات مدفعيك نحوه .. هيا .
وانطلقت رصاصات الهليوكبتر نحو (أدهم) ، الذى راح يعدو بكل قوته ، في خط متعرّج سريع ، وهو يقول :
- حتى ولو كان هذا الطيار أعمى ، فلن يلبث أن يوقع بى .
وتوقّف فجأة ، ثم استدار إلى الهليوكبتر ، وأطلق عليها رصاصتين صائبتين ..
وابتعد الطيار بحركة غريزية حادة ، عندما أصابت الرصاصتان زجاجه الأمى ، في حين انطلق (أدهم) يعدو نحو كوخ صغير ، في بداية منطقة الفيلات ، وصرخ الطيار :
- إنه يطلق النار .
صاح به (أفرام) :
- وما الذى كنت تتوقّع أن يفعله ؟ .. يرسل إليك باقة من الزهور ؟! .. هيا اقتله يا رجل بلا تردّد .. استخدم صواريخك .
عاد الطيار إلى مساره ، ورأى (أدهم) يندفع داخل الكوخ الصغير ، فعقد حاجبيه ، وقال في صرامة :



وتوقف فجأة ، ثم استدار إلى الهليوكبتر ، وأطلق عليها رصاصتين صائبتين ..

ـ نعم .. سأستخدم الصواريخ .

وضغط زر الإطلاق فى عصا القيادة ..

وانطلقت صواريخ الهليوكبتر نحو الكوخ الصغير .. وأصابته ..

ودوى الانفجار عاليًا رهيبًا ، اهتزّت له جدران الفيلات البعيدة ، وصرخ الطيار فى ظفر :

ـ لقد أصبته .

انطلق (إفرام) بسيارته ، و (الجيب) تتبعه ، نحو بقايا الكوخ الصغير ، وهو يصرخ فى جهاز اللاسلكى :

ـ أصابه .. ظفرنا به .. ظفرنا به .

برقت عينا مدير (الموساد) ، وهو يستمع إلى هذه الصيحة ، وهتف :

ـ ظفروا به ! .. لقد فعلوها هذه المرة .

انعقد حاجبا (موشى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لست أصدق هذا .

صاح المدير :

ـ بل أنت تغار من (إفرام) .. لقد ظفروا به يا رجل .. نجحوا أخيرًا فيما فشلنا فيه .

قال (موشى) فى إصرار :

ـ لن أصدق هذا ، قبل أن أرى جثته بنفسى .

قال المدير :
ـ أنت على حق .
ثم صاح عبر اللاسلكى :
ابحث عن جثته بين الحطام يا (إفرام) .. أريد كل ما تبقى منه ، حتى ولو كان إصبعًا واحدًا .
أجابه (إفرام) فى انفعال :
ـ سأفعل .
واتجه بسيارته المصفحة إلى بقايا الكوخ ، الذى نسفته صواريخ الهليوكبتر نسفًا ، وهبط من السيارة ليبحث بين الحطام ، وهو يقول لرجاله :
ـ ابحثوا عن جثته .. عن أى شىء تبقى منه .
سمع أحد رجاله يهتف :
ـ ها هوذا .
أسرع إلى حيث يشير الرجل ، وتعرّف بقايا حلة (أدهم) ، التى احترق معظمها ، وألقى نظرة على الجثة نصف المحترقة التى ترتديها ، ثم قال فى ارتياح ، عبر جهاز اللاسلكى :
ـ لقد عثرنا على جثته .
وهنا تراجع مدير (الموساد) فى مقعده بارتياح ، وقال :

ـ لقد عثروا على بقاياه .. انتهت القضية يا رجل ، ويمكنك الآن إغلاق الملف مرة ثانية .
ظهر توتر بالغ على وجه (موشى) ، فى حين أردف مدير (الموساد) فى ظفر وارتياح :
ـ ملف (أدهم) .. (أدهم صبرى) .
وابتسم فى زهو .

* * *

[انتهى الجزء الأوّل بحمد الله]
ويليه الجزء الثانى
(الخطـر)